

بعد قرن تقريباً من الإبادة الأرمنية لايزال أولئك الناس (الأرمن) يُذبحون فى سورية

ترجمة : سحر توفيق

بقلم : روبرت فيسك

والآن ، وتقريباً دون أى التفات أو ذكر من وسائل الإعلام ، تنتهك كنائسهم وأديرتهم أيضاً :

منذ أكثر قليلاً من ٣٠ عاماً ، استخرجتُ بالحفر عظام وجماجم ضحايا الإبادة الأرمنية من منطقة مرتفعة فوق نهر الخابور فى سورية . كانت هذه عظام شباب ـ لم تكن الأسنان متآكلة ـ وكانوا مجرد عدد قليل من المليون ونصف المليون أرمنى مسيحى الذين ذُبحوا فى أول جرائم الإبادة فى القرن العشرين ، عملية إبادة شعب متعمّدة ومخطط لها من قبل الأتراك العثمانيين والتى ارتُكبت عام ١٩١٥ .

كان من الصعب العثور على تلك العظام ، بسبب التغيُّر الذى أصاب نهر الخابور الواقع شمال مدينة دير الزور السورية . ومن ثم ، فمن كثرة الأجساد التى كُدِّست فى مجراه قد دفعت المياه نحو الشرق . كما أن مجرى النهر نفسه قد تغيَّر . لكن الأصدقاء الأرمن الذين كانوا معى أخذوا العظام ووضعوها فى مدفن الكنيسة الأرمنية الكبرى فى دير الزور ، والتى كُرِّست لذكرى هؤلاء الأرمن الذين قُتلوا ـ ويا لعار الدولة التركية «الحديثة» التى لاتزال تنكر هذه الإبادة ـ فى جريمة الإبادة الشاملة تلك .

والآن ، أصبحت حقول القتل الشبحية القديمة حقولاً للقتل مرة أخرى فى حرب جديدة ، جريمة تتجاهلها وسائل الإعلام بصفة شبه كاملة . فوق عظام موتى الأرمن ، تدور الحرب فى الصراع السورى . ومرة أخرى ، لقد وجد من نجوا من الإبادة ملجأ فى الأراضى السورية قديماً ، والآن يُجبر أحفادهم على الهروب مرة أخرى ـ إلى لبنان ، وإلى أوربا ، وإلى أمريكا . ونفس الكنيسة التى وجدت فيها عظام القتلى الأرمن مثواها تستريح فيه ، أصابها الدمار فى الحرب الجديدة ، ولا يعرف امرؤ المجرمين الذين ارتكبوا هذه الجريمة .

وبالأمس ، اتصلتُ بالأسقف أرماش نالبانديان Armash Nalbandian ، أسقف دمشق ، والذى أخبرنى بأنه بينما دُمرت الكنيسة فى دير الزور فعلاً ، فإن الضريح الذى دُفنت فيه عظام الموتى ظل بلا سوء . وقال إن الكنيسة نفسها كانت أقل أهمية من ذكرى الإبادة الأرمنية ـ وهذه الذكرى هى التى يُمكن أن تتعرض للتدمير . وهو على حق . لكن الكنيسة ـ ولابد من القول بأنها ليست رائعة الجمال كمبنى ـ هى رغم كل شئ تُعتبر شاهداً ، صرحاً لذكرى إبادة الأرمن ، كل قطعة فيها ، مهما صغرت ، تُساوى قدسية المبنى التذكارى ياد فاشيم الذى أُقيم فى إسرائيل لذكرى ضحايا الهولوكوست اليهودى . ورغم أن الدولة الإسرائيلية ، التى تحمل عاراً يُماثل عار الأتراك ، تزعم أن المذابح الأرمنية الكبرى لم تكن إبادة ، فإن الإسرائيليين أنفسهم يستخدمون كلمة «الهولوكوست» لوصف إبادة الأرمن .

وفى حلب ، قام الجيش السورى الحر بتخريب الكنيسة الأرمنية ، وهم المتمردون «الطيبون» الذين يُحاربون نظام بشار الأسد ، والذين قام الأمريكيون ، وكذلك العرب السنَّة ، بتمويلهم وتسليحهم . ولكن فى الرقة ، المنطقة الوحيدة التى سيطرت المعارضة عليها بشكل كامل ، قام المحاربون السلفيون بمداهمة كنيسة الشهداء الكاثوليكية الأرمنية ، وأشعلوا النيران فى أثاثها . وقام مئات من المحاربين الأتراك ، أحفاد نفس الأتراك الذين حاولوا إبادة العرق الأرمنى فى ١٩١٥ ، بالالتحاق بالمحاربين المنتمين للقاعدة الذين هاجموا الكنيسة الأرمنية . وقد دُمر الصليب فوق برج الساعة ، ووُضع مكانه علم دولة العراق والشام الإسلامية .

وهذا ليس كل شئ . فى ١١ نوفمبر ، عندما كان العالم مشغولاً بتكريم موتى الحرب العالمية ، التى لم تعط الأرمن الدولة التى يستحقونها ، سقطت دانة مدفعَ خارج مدرسة القديسين المترجمين الأهلية الأرمنية بدمشق ووقعت دانتان أخريان على أتوبيسات المدرسة . ومات طفلان أرمنيان من أطفال المدرسة ، هوڤهانيس أتوكانيان ، وڤانيسا پيدروس . وبعد يوم ، نهب اللصوص أتوبيساً مليئاً بالأرمن كان مسافراً من بيروت إلى حلب . وبعد يومين آخرين ، قُتل كيڤورك بوغوصيان بقصف مدفعى فى حلب . وقد كانت ضريبة الموت للأرمن فى سورية ٦٥ شخصاً فقط ! لكنى افترض أننا يُمكن أن نجعل هذا الرقم ١,٥٠٠,٠٦٥ نسمة . وقد اختُطف أكثر من مائة أرمنى . والأرمن ، بالطبع ، مثلهم فى ذلك مثل كثير من المسيحيين الآخرين فى سورية ، لا يُؤيدون الثورة ضد نظام الأسد رغم أنه لا يُمكن اعتبارهم من مؤيدى الأسد .

وبعد أقل من عامين من الآن ، سوف يُحيون الذكرى المئوية لإبادتهم . وقد التقيتُ بالعديد من الناجين ، وكلهم الآن قد ماتوا . ولكن الدولة التركية ، التى تدعم الثورة الحالية فى سورية ، سوف تحتفل بنصرها فى معركة جاليبولى ، (أو معركة الدردنيل) فى نفس العام ، وهى معركة بطولية خاضها مصطفى كمال أتاتورك أنقذت بلاده من احتلال الحلفاء . وقد حارب الأرمن أيضاً فى تلك المعركة - فى زى الجيش التركى ، بالطبع - لكننى أراهن بأى مبلغ تشاءون أنهم فى ٢٠١٥ لن تتذكرهم الدولة التركية التى سرعان ما دمرت عائلاتهم* .

* المقال نقلاً عن جريدة «الإندبندنت» .

مذابح الأرمن يا أردوغان

تكاد تقترب الذكرى المئوية للمذابح التى ارتكبتها تركيا العثمانية ضد الأرمن . حوالى ١,٥ مليون أرمنى ذهبوا ضحايا للطموح التركى للتوسع على حساب شعب نبيل مازال يُعانى حتى اليوم من صراخ الأجداد والجدات الذين ذبحوا على يد الأتراك عام ١٩١٥ فى أكبر مذبحة يندى لها جبين الإنسانية . . . وحتى اليوم لم يتمكن الأحفاد الذين يعيشون بيننا ونراهم فى الشتات فى جميع أنحاء العالم من الحصول على اعتراف دولى دامغ بتلك الجريمة التى تُماثل ما فعله هتلر باليهود فى ألمانيا .

مذابح الأرمن لا تقل عن «الهولوكوست» ، لذا ينبغى تذكير السيد رجب طيب أردوغان الذى يتبجح بالتدخل فى شئون مصر الداخلية بحقوق هذا الشعب النبيل ، من منا لا يتذكر الأرمنى النبيل نوبار باشا الذى عاصر ٧ حكام لمصر فى القرن التاسع عشر بدءاً من العمل فى ديوان محمد على وهو فى الخامسة عشرة من عمره . . . ذلك الرجل الذى ساهم فى بناء دولاب الدولة المصرية وتطوير نظامها القانونى وإلغاء المحاكم القنصلية ومنح المواطن المصرى حقوقه الأساسية فى مواجهة الأجنبى المحتل . . . نوبار باشا الذى كتب مذكراته وهو يتحدث عن مصر كأنها وطنه الأول . لقد رأيتُ الجالية الأرمنية المصرية فى مونتريال بكندا ، وهم يُقدمون أنفسهم بهذه الصفة . . . رأيتُ المخرج الكندى الأرمنى المصرى أتوم إجويان صاحب الفيلم العالمى الشهير عن المذبحة «أرارات» .

هؤلاء عاشوا فى مصر . . . افتخروا بها . ولابد من الوقوف بجوارهم فى ألمهم الكبير . . . فى سعيهم نحو نيل اعتراف الدولة بالمذبحة التى ارتكبها أجداد رجب طيب أردوغان الذى يرغب فى الانضمام إلى الاتحاد الأوربى ، والأيادى مازالت ملوثة بدماء الأبرياء .

لابد أن تُقدِّم الدولة المصرية الرسالة لمن يُريد التدخل فى شئونها الداخلية بالوقوف بجوار العنف والإرهاب بأن مصر قادرة على ممارسة دورها الإقليمى وعلى الحفاظ على علاقات متوازنة مع الجميع بشرط احترام سيادتها واستقلالها . الوقوف بجوار الأرمن فى قضيتهم هو انتصار للعدالة ولحقوق الإنسان ، ويجب استدعاء القضية مرة أخرى للمسرح الدولى .

الأهرام : ٢٧ نوفمبر ٢٠١٣ **بقلم : جمال زايدة**

آفــاق

وضــع أرمــن مصــر

في ١٦ يولية ٢٠١٣ ، اتصل ببطريركية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة الأستاذ أوزجى أتاسيل المحرر بجريدة «أجوس» التى تصدر بإسطنبول باللغتين التركية والأرمنية لطلب حديث عن «وضع أرمن مصر» فى أعقاب ثورة ٣٠ يونية ٢٠١٣ . وقد أُنيط بهذه المهمة إلى الأستاذ بيرج ترزيان مستشار المواد الأرمنية بمجلة أريك ، (وفى نفس الوقت رئيس فرع الاتحاد الخيرى الأرمنى العام فى مصر) . وقد أرسل المحرِّر المذكور قائمة أسئلة باللغة الإنجليزية ، أجاب عليها الأستاذ بيرج ترزيان . هذا ، واستُخدمت بعض هذه الإجابات فى كتابة مقال نُشر بجريدة «أجوس» يوم ١٩ يولية ٢٠١٣ تحت عنوان «وضع أرمن مصر» .

وبعد نشر هذا المقال ، حاولت هيئة تحرير «أريك» ترجمته من التركية إلى العربية بغية نشره فى المجلة . بيد أنها قد واجهت عدم استجابة عدد ليس بقليل من الأكاديميين المتخصصين فى اللغة التركية لترجمته حتى تم التوصل فى نوفمبر ٢٠١٣ إلى الأستاذ الدكتور أحمد هارون بآداب المنصورة الذى تفضَّل بترجمته إلى العربية . وبعد الاطلاع على هذه الترجمة ، اتضح أن به بعض الآراء غير متسقة مع الإجابات التى أرسلها الأستاذ بيرج ترزيان إلى جريدة «أجوس» . ولهذا ، رأينا لزام علينا أن ننشر الأسئلة بأجوبتها مترجمة من الإنجليزية إلى العربية ، وكذا ، ترجمة مقال «أجوس» من التركية إلى العربية .

أولاً : الأسئلة وإجاباتها

ترجمة : سحر توفيق

ما هى المشاكل الرئيسية للأرمن وللكنيسة الأرمنية على وجه الخصوص فى الفوضى السائدة فى مصر هذه الأيام ؟ هل يمكن كأقلية أن تشعروا بالراحة ؟

لا يُواجه الأرمن والكنيسة الأرمنية فى مصر مشاكل خاصة بهم حصرياً . ولابد أن نضع فى أذهاننا أن الأرمن المصريين طائفة يبلغ عدد أفرادها من ٦ إلى ٧ آلاف نسمة ، ومن ثم فهى تعتبر أقلية صغيرة للغاية مقارنة بالكتلة السكانية لمصر الذى تكاد تصل حوالى ٩٠ مليون . وكأقلية ، نشعر بالارتياح ، والحقيقة التاريخية هى أن الأرمن كانوا دائماً يلقون معاملة حسنة من كل الحكومات المصرية المتعاقبة .

قبل كل شئ ، كيف كنتم ، ككنيسة أرمنية ، تُقيّمون نظام مرسى ، هل كانت هناك أية قيود على حرية الحديث والتعبير ، أو أفعال تحمل إيذاءً ضد الأقليات ،

خاصة الأرمن والمسيحيين ؟

لكى أكون منصفاً لابد أن أقول إنه أثناء نظام الرئيس السابق مرسى لم تكن ثمة قيود على حرية الكلام والتعبير ، ولم تكن هناك أية أفعال تتسم بالعنف خاصة بالأقلية الأرمنية ، كما يكون قد حدث فى حالات قليلة ضد الأقليات الأخرى .

هل كنتم جزءاً من الاحتجاج ضد نظام مرسى ؟ (لا أعنى الكنيسة فقط ، ولكن كل الأرمن فى مصر) .

إن الكنيسة الأرمنية تُؤدى رسالة دينية خالصة وليس لها أى دخل بالسياسة . ولكن بعض أعضاء الطائفة الأرمنية المصرية شاركوا فى بعض الاحتجاجات ضد نظام الرئيس السابق مرسى معبرين عن آرائهم الشخصية كما فعل رفاقهم من المواطنين المصريين .

ما رأيكم فى انقلاب الفريق أول السيسى ، هل يُمكن أن يكون ثمة حل آخر ضد الإخوان ؟

إن الأغلبية الساحقة من المصريين لا يرون الإجراءات التى اتخذها الفريق أول السيسى انقلاباً ، ولكنهم يرون أنها كانت خطوة ضرورية لتجنب الحرب الأهلية والعودة إلى طريق الديمقراطية .

ما هو رأيك فى الرئيس الجديد ، عدلى منصور ؟ ما هى العوامل التى دفعت به إلى الرئاسة فى رأيك ؟ أيضاً ، كيف تُقيِّم دستوره الجديد ، هل هو دستور مقبول بالنسبة لكم ؟

إن الرئيس الجديد رئيس مؤقت لم يتول هذا المنصب نتيجة انتخابات عامة ، ولكن بحكم منصبه بصفته رئيس المحكمة الدستورية العليا . وبالنسبة للدستور الذى يُطبق الآن ، فهو أيضاً دستور انتقالى حتى إعداد الدستور النهائى على أيدى لجنة تحضيرية تمثل كل الأطياف السياسية فى البلاد . وسوف يخضع الدستور الجديد لاستفتاء عام .

تُحاول وسائل الإعلام ، خاصة الغربية ، أن تُجادل بأن الرئيس الجديد عدلى منصور قبطى ، هل تعرف شئياً عن ذلك ؟ وإذا كان كذلك ، فكيف تشعر كأقلية فى بلد مسلم إزاء هذا ؟

اسم الرئيس الجديد كاملاً هو عدلى **محمود** منصور ، ومن ثم فإن هذا الاسم الأوسط يدل على أنه مسلم .

ثانياً : مقال أجوس

ترجمة : د. أحمد هارون

كانت مصر لمئات السنين بيتاً للأرمن ووطناً دائماً للطائفة الأرمنية . وتعود صلة الأرمن بمصر إلى سنوات الإمبراطورية الرومانية ، حيث تم تسجيل عدد خمسين نسمة ، ولكنهم بلغوا الآن ستة آلاف نسمة يُشكلون طائفة الأرمن فى هذا البلد . وقد لعب الأرمن دوراً مهماً طوال هذه الفترة التاريخية بأنشطتهم الاجتماعية والسياسية ، كما تعايشوا مع مشكلات وقضايا البلد من هذا الموقف الاجتماعى .

وقد صارت مصر خلال الثلاثة سنوات الأخيرة ساحة للمجادلات والأفكار حول الديمقراطية ونقائضها . وكانت البداية للربيع العربى بإنهاء نظام مبارك وانتخاب محمد مرسى كرئيس للدولة بموجب انتخابات ديمقراطية للمرة الأولى فى تاريخ مصر . ولكن كانت نهاية هذا المشهد بسبب الأحداث التى بدأت فى ٣٠

يونية بدعم وتأييد الجيش المصرى ووزير الدفاع الفريق أول عبد الفتاح السيسى ، والذى أدى إلى تولى رئيس المحكمة الدستورية العليا عدلى منصور رئاسة الدولة .

يُقدم بيرج ترزيان رئيس فرع الاتحاد الخيرى الأرمنى العام بمصر موقف الطائفة الأرمنية من الدلالات الحاصلة فى البلد خلال هذه الفترة . كما يطرح تفسيراً لجريدة «أجوس» لموقف ووضع الطائفة الأرمنية فى هذه المجادلات .

قال : «إن عدلى منصور يُشرف على إعداد دستور جديد وتزويد البلد بنظام جديد يُهيئ لتولِّى رئيس قادم» ، وقال : «إن الدستور الجديد سيقوم بوضعه لجنة ممثلة لكل طوائف المجتمع ، وسوف يكتبونه فى أقصر فترة ممكنة» . وبينما تُثار معلومات تتعلق بالأقباط الذين يعيشون فى مختلف أنحاء مصر والأقليات الأخرى فى مواجهة الحركات الأصولية ، يُؤكد ترزيان على أن الطائفة الأرمنية بمصر والكنيسة الأرمنية لم يُواجها أى نوع من الاضطهاد أو العنف بل على العكس قد حظيا بمعاملة طيبة للغاية من قبل كل الحكومات المصرية طوال الفترة التاريخية السالفة .

هل منصور قبطياً ؟

أُتهم محمد مرسى طوال فترة رئاسته بعدم إعطائه أهمية لطلبات الأقليات فى الدستور والتى طالبت بها شرائح مختلفة من المجتمع ، كما أنه أُتهم بتمكين الأشخاص المقربين منه وبخاصة الأشخاص المنتمين لجماعة الإخوان المسلمين .

وعلى العكس من هذا ، يُقيّم ترزيان معبّراً عن مرارة الطائفة الأرمنية إزاء هذا الموقف . فلا يُدقق فيما لم يحدث من اعتبار وتقدير للطائفة الأرمنية فى فترة رئاسة مرسى ، وإنما يتكلم عن المشكلات التى واجهت الأقليات الأخرى فى تلك الفترة . ولذلك قال : «إن الأرمن انطلاقاً من كونهم مواطنين كاملى المواطنة المصرية نزلوا إلى الميادين تعبيراً ومشاركة لمختلف فئات الشعب فى إظهار هذه المشكلات وعدم ارتياحهم للوضع القائم» .

أعطى ترزيان معلومة متعلقة بالشعور العام الذى أوجده الفريق السيسى فى المجتمع ، إذ ترى الأغلبية أن المبادرة التى اتخذها الفريق السيسى تُحقّق غايتها حتى تعود البلد إلى طريق الديمقراطية وتتوقف الحرب الداخلية .

يقول ترزيان : «إن هناك من أدلى فى وسائل الإعلام أن عدلى منصور قبطى أو مسيحى . فى حين أن اسمه بالكامل عدلى محمد منصور ، أى أن اسمه الثانى محمد ، وهذا برهان على إسلامه عكس ما جاء فى الادعاء» .

صاروخان بين ضربة يونية ١٩٦٧ ونصر أكتوبر ١٩٧٣

٢ من ٢

بقلم : عبد الله على السيد

يُعنى فن الكاريكاتور بالنظرة النقدية للموضوعات المتشعبة فى شتى نواحى الحياة اليومية ، إذ يتناول الأشياء بصورة تهكمية ساخرة بأسلوب «الكوميديا السوداء» ، وهو بذلك يُعد فناً من أصعب الفنون وأعمقها فكرًا . ويُمكن التأصيل لهذا الفن منذ عصور ما قبل التاريخ ، حين حفر الإنسان الأول على جدران الكهوف فى العصر الحجرى آنذاك أولى الرسومات الهزلية ، ثم نحا منحًا جديداً فى زمن الفراعنة واليونانيين القدماء ، وغيرهم من شعوب الحضارات القديمة . ويُعد يعقوب صنوع أول من أدخل هذا الفن فى تاريخ مصر الحديث ؛ حيث وضع الأسس الأولى للكاريكاتور الحديث فى مجلاته العديدة التى أصدرها ، وكانت أولها مجلة «أبو نظارة» عام ١٨٧٦ ، والتى تُعد أول صحيفة هزلية كاريكاتورية فى الشرق ، وفيها استخدم صنوع فن الكاريكاتور للتلميح إلى نقد نظام حكم الخديو إسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) وبالطبع لم تعش مجلة صنوع طويلاً ، إذ تم إغلاقها وطرده خارج مصر فى منتصف عام ١٨٧٨ .

كانت القيادة السياسية المصرية واثقة فى قدراتها العسكرية والسياسية دون أن يكون لديها المعلومات الكافية أو التقديرات الإستراتيچية المناسبة التى تُؤكد هذا الاطمئنان ، خصوصًا أن مصر كانت منغمسة فى حرب اليمن ، التى ألهتها ـ فى ظل صراع التنافس على القمة ـ عن الإحاطة بما يُحاك حول أمن مصر القومى ، خصوصًا على جبهة الحدود الشرقية مع فلسطين المحتلة . فقد بدا واضحًا أنه كان فى مصر قُبيل الضربة قيادتان إحداهما سياسية برئاسة الرئيس عبد الناصر ، والثانية عسكرية بقيادة المشير عامر ، وأن هناك انفصالاً كبيراً بدا واضحًا فى التنسيق بين القيادتين .

من ناحية أخرى ، فإنه على الرغم من أن أحد أهم الأسباب التى أدت إلى تشكيل تنظيم الضباط الأحرار كان الحالة السيئة التى وصل إليها الجيش المصرى وهزيمته فى حرب ١٩٤٨ ، فإنه بعد قيام ثورة يولية ١٩٥٢ وتمكُّن المؤسسة العسكرية من مقاليد الأمور فى مصر ، فإنه حدث لها حيد عن التوجه العسكرى الحقيقى ، وانحرفت بصورة ملحوظة عن مهمتها الأساسية وهى الاستعداد القتالى للقيام بمهام الدفاع عن حدود الوطن ، إلى توجهها نحو السيطرة والنفوذ أكثر وأكثر فى المجتمع المدنى المصرى . وقد زاد من هذا التوجه أن القوات المسلحة المصرية لم تكن قد تعرضت بصورة حقيقية لحرب قتالية منذ عام ١٩٥٢ حتى ضربة

يونية ١٩٦٧ ، بمعنى أن قدراتها القتالية الحقيقية فى التدريب والتطبيق لم تكن قد أُختبرت بصورة حقيقية طوال تلك الفترة.

وقد انساق رسامو الكاريكاتور فى «أخبار اليوم» بالتبعية فى هذا الاتجاه البعيد عن مواجهة المشكلات الحقيقية ومعالجة أصل الداء، فبدلاً من انتقاد أسلوب وطريقة إدارة قيادة العمليات العسكرية فى اليمن، التى ابتلعت خيرة وحدات القوات المسلحة المصرية وأهلكت أفرادها ومعداتها وأسلحتها وطائراتها، لأنها لم تكن حربًا مناسبة للجيوش، وإنما كانت تُناسب قوات الشرطة التى تصلح لتعقُّب العصابات، فسرعان ما نسيت القوات المسلحة المصرية قتال الجيوش وفنون الحروب المعروفة لتنغمس لمدة ست سنوات كاملة فى حرب عصابات، وبذلك، فقدت كفاءتها العسكرية وقدرتها القتالية. فبدلاً من انتقاد ذلك، قام صاروخان بالتركيز كذلك على الجانب السياسى، ومكرراً سخريته من الملك الحسين بن طلال، لموقفه من جامعة الدول العربية فى مارس ١٩٦٧، معتبره ألعوبة فى أيدى الإسرائيليين، مرتميًا فى أحضانهم؛ ومرتديًا شارة مشروعهم الصهيونى (النجمة السداسية) على صدره، وهو يُخرج لسانه معطيًا ظهره للعرب المجتمعين فى الجامعة، وممسكًا فى يد الإسرائيلى، الذى أقنعه بأن مصالحه معهم.



جاءت ضربة ٥ يونية قوية مزلزلة للعقل العربى، استفاق الجميع بعدها على واقع مرير، خصوصًا بعد ارتفاع سقف الأمانى كلما ازدادت المزايدات والأكاذيب الإعلامية حول الموقف الحربى فى الفترة من ٥ حتى ٨ يونية، ففى تلك الليلة ترك المشير عامر مقر القيادة العامة، مقدمًا استقالته للرئيس عبد الناصر، وكذلك فعل شمس بدران وزير الحربية؛ الذى حثّ قادة أفرع القوات المسلحة على نهج ما فعله، كى يُتيحون الفرصة للرئيس لاتخاذ ما يلزم، فكانت استقالات قائدى القوات البرية والجوية، ومساعدى نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، ورئيس هيئة العمليات فى صباح يوم ٩ يونية. وفى مساء ذلك اليوم، خرج الرئيس عبد الناصر نفسه على شاشات التليفزيون ليُعلن قرار تنحيه، وإسناد المهمة لزكريا محيى الدين، إلا أنه حدث ما حدث وخرجت جماهير غفيرة تُطالب الرئيس بالتراجع عن موقفه، وانهالت البرقيات من العالم العربى بالشأن ذاته. وبالفعل تم ما أرادوا فى ١٠ يونية، وبعدها دخلت مصر فى صراع على السلطة انتهى بتحديد إقامة المشير عامر فى ٢٦ أغسطس، ثم انتحاره أو مقتله فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٧.

وبصرف النظر عن الطريقة التى مات بها المشير عامر، فما يهمنا أن القيادة فى مصر باتت موحدة، وأن المصريين لم يركنوا للهزيمة أو استسلموا لها، وإنما أصبح الجميع مشاركًا فى الحدث بصورة علنية، دون مواربة أو خوف، وراحت جمل بعينها تتصدر كافة الأحاديث والشعارات مثل «إزالة آثار العدوان»، وهى الجملة التى قالها الرئيس عبد الناصر نفسه فى بيان عدوله عن التنحى فى ١٠ يونية، وكذلك شعار «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة»، الذى شاع بين جموع المصريين.

وعلى قدر قسوة الضربة العسكرية فى يونيو على المستوى النفسى، إلا أنها كانت سببًا فى إعادة توحيد الصف العربى، فقد لملم القادة العرب جراحهم، وتناسوا خلافاتهم، وهو ما ظهر جليًا أثناء انعقاد القمة

العربية الرابعة فى الخرطوم (٢٩ أغسطس ـ أول سبتمبر ١٩٦٧) ، وهى القمة التى عُرفت بقمة اللاءات الثلاثة (لا اعتراف؛ لا صلح؛ لا تفاوض مع إسرائيل). ففى تلك القمة ، حدثت مصالحات سياسية عربية كبيرة ، بعد تناسى الخلافات التى كانت قائمة على قاعدة الاستقطابات الأيديولوجية ، إذ كانت أولى قرارات هذه القمة العربية «وحدة الصف العربى ، ووحدة العمل الجماعى وتنسيقه وتصفيته من كل الشوائب» ، ومن هنا ، فقد كان التوصل إلى تسوية بشأن اليمن بين مصر والسعودية أبرز نتائج تلك المصالحات العربية .

وقد تفاعل صاروخان مع تلك المستجدات ، فرسم ما يُشير إلى هذه النتائج التى تمخَّض عنها مؤتمر القمة العربية فى الخرطوم ، بأنه قد دخل ثلاثة عشر رجلاً ، هم فى الحقيقة الثلاث عشرة دولة عربية فرادى المؤتمر ، وخرجوا منها مع نهاية المؤتمر رجلاً عربيًا واحداً قويًا ، أو هكذا بدوا . ويُلاحظ فى هذه الرسمة أن صاروخان تعمد أن تتصدر صورة الملك فيصل من بين الحكام العرب المشاركين فى القمة ، بما فيها صورة الرئيس عبد الناصر ، تماشياً منه مع ما اتخذته القمة من قرارات المصالحة العربية .



ازالة آثار العدوان

كان لقمة الخرطوم نتائج أخرى على المستوى الاقتصادى بدخول البترول فى منظومة العمل العربى المشترك لمواجهة تلك الأزمة ، إذ اُتخذت عدة قرارات فى إطار إيقاف ضخ النفط أو تقليله كمواجهة اقتصادية بجانب المواجهة العسكرية ، وهو ما كان يُعرف بمقولة «استخدام النفط كسلاح إيجابى» . كذلك أوصى اجتماع وزراء الاقتصاد العرب ، بأن تقوم الدول النفطية بدعم اقتصاد الدول العربية التى تعرّضت للعدوان بصورة مباشرة . وفى السياق ذاته ، أقرّت القمة إنشاء «صندوق الإنماء الاقتصادى والاجتماعى العربى» ، كما قرّرت كل من السعودية والكويت وليبيا الالتزام بدفع مبالغ مالية على دفعات دورية إلى حين إزالة آثار العدوان .

وعلى الرغم من هذا التحول الكامل فى التوجهات الأيديولوچية العربية ، فقد أصبح للدول العربية البترولية ، وعلى الأخص السعودية ، كلمة فصل فى كثير من المواقف ، بعد أن كانت «رمزًا من رموز الرجعية» ، كما كانت الدعاية القومية تصفها قبل الضربة ، إلا أن هذه النتائج كانت إيجابية إلى حد كبير ، لأن المواجهة العربية تكاملت بصورة جديدة فى التاريخ . وبالقطع ، تفاعل فنانو «أخبار اليوم» مع هذه المستّجدَّات فى رسومهم ، حتى أن أغلب الأشخاص الذين رُسموا فيها كانوا يرتدون الزى العربى التقليدى من الجلباب الأبيض والعقال الأسود فوق الغترة البيضاء ، أو الشماغ الأبيض ومنقط بالأحمر . فقد تخيّل صاروخان الشرق الأوسط وكأنه يعوم على بحيرة من البترول يتحكم فيها العرب من كل صوب ، ورسم ثلاثة رجال عرب ، يقوم اثنان منهم بسكب بترول على الأرض ، فى الوقت الذى يقوم فيه الثالث الراكز على ركبتيه فى وضع «تسييق الأرض» بمسح آثار العدوان الإسرائيلى ، الذى رمز إليه بالنجمة السداسية .

وفى الحقيقة فقد كان هناك وعى عربى منتشر بعد ضربة يونية ، وأكده تجارب لشعوب أخرى فى أمريكا اللاتينية وآسيا (فنزويلا وإيران على وجه الخصوص) ، وقد أكد الصراع مع العدو المشترك إسرائيل هذا التوجه ،



الواطن العربى ـ دمى بيسيل حتى من غير فانتوم .. اللى قالوا ان اسرائيل بتعتمد على الاسلحة الامريكية غلطـــان .. اسرائيل بتعتمد على اسلحة عربيه !!



« الشرق الاوسط فى محادثات القمـــة »
ـ بلاش نقرب لها احســن تنفجر فينا احنا الاتنين .. كفاية نغطيهـا علشان محدش يشوفها !

خاصة بعد أن سقطت آخر ورقة توت عن الدور الأمريكى المعادى والصريح فى دعمه لهذا الكيان المغتصب. وهنا، أقنعت الحكومات العربية فى ذلك الوقت نفسها ـ من أجل امتصاص الغضب الشعبى ـ بوقف الإمدادات البترولية للولايات المتحدة والدول التى أيدت ودعمت إسرائيل، لكن لم يدم ذلك القرار إلا لأسابيع قليلة، لأن الدعايات العربية آنذاك روّجت لضرورة إعادة بيع المنتجات البترولية «للحصول على مال لدعم الأقطار العربية المتضررة من الحرب»، وهو ما أعطى مبرراً مؤقتًا لتلك الأنظمة العربية فى إعادة ضخ ثرواتها البترولية للغرب بعامة والولايات المتحدة بخاصة.

ومن هذا المنطلق، فقد رأى صاروخان أن العدوان الإسرائيلى على لبنان فى أبريل ١٩٧٣ تم بالدعم العربى غير المباشر، فرسم «العربى» واقفًا متحسِّرًا على شلالات الدماء التى تسيل فى لبنان بفعل القصف الإسرائيلى الغاشم؛ لكنه أخذ يُحدث نفسه بأن تلك الدماء لا تسيل بالقصف، وإنما تسيل بدعم العرب للقاصفين بالبترول.

لم يركن المصريون بُعيد الضربة إلى الاستكانة والدعة، وإنما كانت حرب الاستنزاف على قدم وساق، تحقق نجاحات ملموسة يوماً بعد يوم، ولم يتم قبول مبادرة روجرز (وزير الخارجية الأمريكى) التى بدأ العمل بها فى ٨ أغسطس ١٩٧٠، إلا فى صبيحة آخر يوم عمل استكمل فيه المصريون بناء حائط الصواريخ. فلولا حرب الاستنزاف «ما كانت حرب ١٩٧٣، وما كان من الممكن عبور القناة واقتحام خط بارليف بهذا الاقتدار الذى تحاكى عنه العالم فى ذلك الوقت، وستظل كتب التاريخ العسكرى تكتب عنه لسنوات وأجيال عديدة».

فقد كان البديل عن حرب الاستنزاف هو ترك السياسة تلعب دورها لحل المشكلة بالطرق الدبلوماسية، وقد رأينا أن رسامى الكاريكاتور قد فطنوا منذ لحظة مبكرة إلى ان الارتكان إلى هذه الطرق الدبلوماسية لن يصل إلى شيء سوى المماطلات والتسويفات؛ بل إن الارتكان إلى السياسة وحدها كان معناه استسلام مصر لشروط إسرائيل، لكن كان استمرار عمليات القوات المسلحة ضد العدو ـ وإن كانت بقدرات متواضعة أخذت فى التنامى ـ كان مكملاً فى الحقيقة للعمل الدبلوماسى الذى أفضى إلى الموافقة على مبادرة روجرز؛ وهو ما ثمنه فيما بعد شيخ الدبلوماسية المصرية الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية آنذاك عن الأثر الإيجابى لهذه الأعمال العسكرية فى العمل السياسى.

لم يعش الرئيس عبد الناصر طويلاً بعد قبوله مبادرة روجرز، وبوفاته فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ استيقظ

المصريون على واقع جديد، وإن كانت ضربة يونية وما تبعها من حرب الاستنزاف هو المشهد العام المغلّف للخلفية بأكملها. وبوفاة عبد الناصر وتولّى الرئيس السادات ،ظهرت فى مصر اتجاهات ورؤى عدة؛ فكان هناك الناصريون الموالون لذكرى الزعيم الكبير، ويرون أن أى تغيير فى السياسات العامة هو بمثابة خيانة لدعائم الاستقلال، الوطنى والقومى، ولم يكن اليساريون الماركسيون والاشتراكيون ببعيدين عن هذا التوجُّه كثيراً، وإن كانوا يُركزون أكثر على التوجهات الاجتماعية. وبمقابل هؤلاء، كان هناك التيار اليمينى بكافة أشكاله بدءاً من «الإخوان المسلمين» وصولاً إلى بقايا الباشاوات القدامى، وبالطبع فلم يكن هذا الاتجاه راض بالأساس عن التوجهات الناصرية التى كسَّرت عظامهم وجرّدتهم من أدوات نفوذهم، ولذا، فقد ألصقوا كل نقيصة إلى هذه التجربة، ورأوا أنهم يملكون مشروعهم الأفضل لتحديث مصر وإخراجها من كبوتها. وبين التيارين، ظهرت اتجاهات أخرى كان أبرزها ذلك التيار الرافض لكل ما حدث باعتبار أنه تم بطرق تجريبية بحتة، ولا يستند إلى أى منهج علمى تجريبى، وكان يدعو إلى الاستفادة من متغيرات العصر والتجاوب معها. وكذلك تيار آخر كان مشكِّكًا فى كل شىء تقريبًا، كان أصحابه يُصعِّبون الأمور ويرون أن مصر لن تتغلب على مشكلاتها لأنها بلد متخلف وبينها وبين العالم المتحضر بون شاسع.

وتجدر الإشارة هنا إلى ذلك التحول الذى انتاب الفكرة العربية بعد وفاة الرئيس عبد الناصر، وتولِّى السادات، الذى ركز على مصر أكثر من العالم العربى ككل كما كان فى عهد سلفه، إذ لم يتفق الزعماء العرب بعد مؤتمر الخرطوم فى عام ١٩٦٧ على خطة عمل شاملة، تُوزع بمقتضاها أعباء مواجهة العدوان الإسرائيلى، ولذا، فقد كان العبء منذ البداية ملقى على عاتق مصر بصورة رئيسية، ثم جاءت وفاة الرئيس عبد الناصر، ليقوم الرئيس السادات بانتهاج سياسات جديدة تعتمد على الجهد المصرى لا العربى فى المقام الأول.

وبالطبع، تفاعل صاروخان مع ذلك التحول لتظهر «الفكرة المصرية» وليست «الفكرة العربية» فى رسوم تلك المرحلة. فقد حاول الفنان التعامل مع هذه المستجدات محكِّمًا العقل والحكمة، باعتبار أن مصر فوق كل تلك الخلافات الأيديولوجية، فرسم مستقبل مصر المشرق لا إلى اليمين ولا إلى اليسار؛ داعيًا أعضاء كل هذه التيارات والتوجهات إلى تجاوز هذه الخلافات والاختلافات، والتسامى عليها للعبور بمصر إلى هذا المستقبل المشرق.

وفى أواخر عام، ١٩٧٢ كان قد مضى خمس سنوات على ضربة يونية ١٩٦٧، وكانت مصر قد استنفدت كافة الوسائل السياسية والدبلوماسية لتحريك القضية من مأزق اللاحرب واللاسلم. فقد قبلت كل قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وكذلك كل المبادرات الدولية كمبادرتىّ روچرز الأولى والثانية، ومبادرة جونار يارينج سكرتير عام الأمم المتحدة فى فبراير ١٩٧١، بل وتقدّم السادات بمبادرته الخاصة فى ذات الشهر، ثم أكدها مرة أخرى فى مايو التالى، لكن لم تبرز فى الأفق أية بوادر أمل فى التوصل إلى حل سياسى يُعيد الأراضى المحتلة إلى أصحابها، ويعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى.

أثبتت هذه التطورات السياسية طوال تلك السنوات الخمس عدة حقائق على أرض الواقع، وقد اختزلها صاروخان ولكن من منظور عالمى، إذ لم يتمخض عن لقاء القمة بين الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون Richard Nixon (١٩٦٩- ١٩٧٤) والزعيم السوڤيتى ليونيد بريچنيف Leonid Brezhnev (١٩٦٤ -١٩٨٢) فى يونيو ١٩٧٣، أية قرارات حقيقية تجاه القضية العربية، فرسمهما صاروخان وهما يقومان بكنس شارع أسماه «طريق السلام»، وعيناهما مركزة

على قنبلة موقوتة (الشرق الأوسط)، ويتعمدان تغطيتها بتلك الأوراق التى يقومان بكنسها، والتى هى عبارة عن قرارات «زبالة» لا قيمة لها. وكان كلاهما يُؤكد ويتفق على أن مشكلة الشرق الأوسط عويصة، وبالتالى، فقد وضع الحوار بالعامية المصرية: «بلاش نقرب لها أحسن تنفجر فينا احنا الاتنين... كفاية نغطيها علشان محدش يشوفها».



يد واحـــدة .. وهدف واحـــد ..

ومن هنا وعطفاً على تلك الفكرة، فقد أكد صاروخان قوة مصر راسماً يد قوية مبسوطة، ومضمومة قبضتها كناية عن العزيمة والإصرار، وكتب تحتها: «يد واحدة وهدف واحد».



مسح الحـــواجز بين مصر وليبيا

وكما تفاعل صاروخان مع تغيُّر التوجه من العربى إلى المصرى فى مطلع عهد الرئيس السادات، عاد وتفاعل مع تبدُّل الأولويات السياسية. ففى أواخر أبريل ١٩٧١، أراد الرئيس السادات تغيير الوضع داخليًا وخارجيًا بأن ناور بطرح فكرة تغيير الأوضاع الراكدة، ذلك أنه فى يونية ١٩٧٠، حينما كان الرئيس عبد الناصر فى أول وآخر زيارة له إلى طرابلس لحضور احتفالات الجلاء الأمريكى عن قاعدة هويلس الليبية؛ حدث اتفاق من حيث المبدأ لإقامة وحدة ثلاثية بين مصر وليبيا وسورية، وكان من المفترض أن يكون السودان رابعهم، لكن رئيسه جعفر نميرى لم يكن مستعداً لقبول الفكرة، لكن سرعان ما رحل الرئيس عبد الناصر عن الدنيا، وتُركت الفكرة لبعض الوقت. وفى ١٧ أبريل من العام التالى، وقّع الرؤساء الثلاثة ما أسموه «اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة»، وتم الإعلان عن استفتاء شعبى على هذه الوحدة فى سبتمبر ١٩٧١.

وبمجرد عودة الرئيس السادات إلى القاهرة، كان فى انتظاره عاصفة رافضة للفكرة، لأن من كان بيدهم مفاتيح السلطة فى مصر آنذاك أدركوا أن إعلان قيام الوحدة وإجراء استفتاء شعبى عليها، سوف تسبقه وتُلحقه عملية انتخابات للتنظيم السياسى ولمجلس الأمة، وكذلك للقيادات العسكرية، على أساس أن دولة جديدة سوف تقوم بدستور جديد ومؤسسات جديدة. وبالتالى، فإن قواعد هذه القوة والسلطة ستمس أماكنهم، وعليه، فقد جرت محاولات عدة لإرغامه على التراجع؛ فإن الرئيس السادات كان على علم أن هذه هى معركته الكبرى، التى سيصعد بعدها إلى القمة، أو ينزوى إلى غياهب النسيان.

كان الموضوع من البداية مجرد مناورة سياسية وقد أتت تلك أُكلها على كافة الأصعدة، بل إنها كانت فاتحة الأسباب التى من خلالها تخلَّص الرئيس السادات مما كان يُعرف بإسم «مراكز القوى» فى مصر. وهنا،

تفاعل صاروخان مع تلك المتغيرات ، فرسم الرئيسان السادات ومعمر القذافى وهما راكزين على ركبتيهما ، وبيد كل واحد منهما دلو وماسحة أرض ، ويمسحان الحدود بين بلديهما . وقد بدت الرسمة من البداية بديعة ؛ سواء فى تجسيد ملامح وجهيهما أو جسديهما بصورة متناسقة وليست كاريكاتورية كتلك التى تُضخِّم بعض أجزاء الجسم ، أو فى الطريقة التى رُسمت بها الخريطة السياسية لكل من مصر وليبيا ، بحيث تبدو من الوهلة الأولى ، وكأنها العالم بأسره .



الوحـــدة الـكاملة
المواطن العربى ــ ده السلاح الجديد لازم كلكم تبقوا معانا

ثم أكمل تلك الفكرة برسمه الرئيسين العربيين داخل دبابة سائرة يدعوان إلى «الوحدة الكاملة» ، والمواطن «العربى» واقف من ورائهما يدعو بحماس منقطع النظير جميع العرب الواقفين مدهوشين ولم يدخلوا فى تلك الوحدة إلى الالتحاق بركبها .

ثم أكمل فكرته بصورة أوضح برسمه لرؤساء مصر (السادات) وسورية (حافظ الأسد) وليبيا (معمر القذافى) واقفين صفًا كالبنيان المرصوص بثلاثة رؤوس لكنهم بجسم واحد ، ومقابلهم قادة إسرائيل بحجم أصغر وهيئة غير متسقة ، وهم مذهولين يتصبَّب العرق من جباههم ، والدموع من أعينهم من هيبة هذا الموقف المتحد ، وكتب تحت رسمته تلك : «حائط المبكى الجديد أمام يهود إسرائيل» .



حائط المبكى الجديد امام يهود اسرائيل . . !

وكانت سياسة مصر تجاه الدول العربية محدّدة منذ البداية فى خلق مناخ عربى صالح ومهيأ للحرب التى ستتم حتمًا ، وليس شعارًا أو قولاً ، وبالتالى ، فقد تطلّب هذا الأمر تنسيقًا لمواقف الدول العربية ، وحشدًا لإمكانياتها المتاحة ، شريطة أن يتم ذلك فى سرية تامة ، وأن تكون كافة اتصالاتها على المستوى الثنائى ، حتى لا تُوحى أية مناقشات عربية عامة أو موسّعة لإسرائيل بأية استنتاجات قد تضر بالمعركة القادمة . فقد كانت مصر مؤمنة بأنه لابد أن يكون هناك عمل عسكرى قوى أولاً تتحمل صدمته الأولى مع سورية ، وبالتالى ، فإن هذا العمل العسكرى سيكون هو المحرِّك للقوى العربية لاستغلال قواها الاقتصادية والإستراتيجية والسياسية لدعم مجهودهما الحربى .


بعد اتحاد الجمهوريات العربية
جولدا مائير ــ ويعنى ايه . . انتم ثلاثه واحنا كمان ثلاثه . . . !

وقد أكمل صاروخان ذات الفكرة برسمه الرؤساء الثلاثة واقفين كتفًا بكتف ؛ يدًا بيد ؛ صامدين واثقين من أنفسهم ، وفى المقابل ، وقف أمامهم الرئيس الأمريكى نيكسون وخلفه مرتعدًا ركز كل من جولدا مائير وموشى ديان ، وأمسكا بركبتىّ نيكسون مذعورين من هذه الوحدة الجديدة ، لكنهما حاولا امتلاك أعصابهما ، بأن أضاف صاروخان جملة بالعامية المصرية على لسان جولدا مائير : «ويعنى إيه . . . إنتم تلاتة واحنا كمان تلاتة» .



ومثلما كان صاروخان لا يطيق رؤية بلد عربى يُحارب أخاه ، فقد كان لا يطيق رؤية حاكم أى بلد عربى يرفض فكرة التضامن العربى ، مهما كان ، فقد كان الملك حسين ملك الأردن قد تحفظ صراحة على عدم تقديم أى عون فى الحرب المقبلة ، بالرغم من أن بلاده كانت من بين دول المواجهة ، لاعتقاده بأن الفشل والهزيمة سيكون مصيرها . ولذا ، لم يتورّع صاروخان من رسمه بالصورة التى رسمه بها من قبل قُبيل الضربة ، من تغليبه لمصالحه الخاصة ، ووقوعه فى أحضان الولايات المتحدة ضد المصالح العربية ، فرسم رجلاً عربياً ضخماً (العالم العربى) تركله من أعلى ، وعلى الرغم من تصوير حتمية وقوعه على وجهه إلا أنه كان لايزال مُصراً على أن «صحيح أنا وقعت إنما نيكسون قال لى إنى حاأقع واقف ! !» .



ثم رسمه فى رسمة أخرى بالطريقة التى كانوا يحلو له رسمه بها ، بقصة شعره المتصابية وطوله القصير وشاربه الطويل ، والنجمة السداسية التى وضعها شعاراً على قلبه ، لكن جعله هذه المرة جالساً مع الرئيس نيكسون ، فى صالون وُضعت صورة رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير فى منتصفه ، كناية عن أنها هى المتحكمة فى الولايات المتحدة وليس العكس . أما الملك العربى فى سفرته تلك ، فكان يقصد منها الحصول على الدولارات الأمريكية ، مقابل مواقفه المتخاذلة تجاه القضية العربية .



وفى نهاية عام ١٩٧٢ ومطلع عام ١٩٧٣ ، اتخذت الدول المنتجة للبترول ـ وجُلها عربية ـ عدة قرارات خاصة بثرواتها البترولية ابتداءً من المساومات التى أتت أكلها بزيادة الأسعار والتحكم فى كمية الإنتاج وفق العرض والطلب حسب المصلحة كما فعلت السعودية والكويت ، إلى أن نصل إلى التأميم التام كما فعلت العراق ، وبالتالى أصبح البترول فاعلاً أساسيًا بحق فى منظومة العلاقات الدولية ، والتى ستنعكس بالإيجاب على الصراع العربى الإسرائيلى القائم . فلخص صاروخان هذه المتغيرات الإقليمية برسمه البترول على شكل ملك متوّج ، بملابس قادة روما القديمة ، جالس متحفز على كرسى العرش ، بيده اليمنى ميزان العدالة ، وفى اليسرى سيف الحق البتار .

« طلبت اسرائيل من امريكا مزيدا من الاسلحة »
جولدا مائير ـ مانخافش ..لو وقعت حا تقع فى احضـــانى يا حبيبى ..

وبالطبع ، إذا حكم «ملك النفط» ، فإن معايير القوة ستتغير وفقًا للمصالح فى الشرق الأوسط . ومن هنا ، فقد تناول صاروخان تلك الفكرة برسمه الرئيس الأمريكى واقفًا على عدد من الصناديق المكتوب عليها كلها «بترول» ، وكان يمد إسرائيل بالطائرات والدبابات والقاذفات . وقد رمز لإسرائيل هنا برئيسة وزرائها جولدا مائير كما كان يحلو له رسمها بأنفها الطويل ووجهها القبيح وشعرها الأشعث وجسدها المترهل ، لكن ، وبينما كانت تتلقى مائير هذا الدعم الأمريكى قام «العربى» بضرب القوة التى يستند عليها الرئيس الأمريكى فى دعمه لإسرائيل وهو البترول ، ثم علَّق صاروخان على لسان جولدا مائير متهكمًا : «ما خافش لو وقعت حا تقع فى أحضانى يا حبيبى» .



هدية بابا نويل فى عيد الميلاد .. كما تتمنـــاها اوربا ..

فأوقف المنتجون للبترول ضخه أو تخفيضه لأسباب اقتصادية بحتة قُبيل حرب أكتوبر مباشرة ، ثم توقيفه باندلاع الحرب فيما بعد كان له أثره القوى فى مجرى الصراع ، بسبب تأثر كثير من الدول بهذا الحظر ، الذى بات كابوسًا يقض مضاجعها . وقد لخص صاروخان هذه الفكرة برسمة بديعة ، تخيّل فيها أوربا ، التى رسمها على شكل رجل عجوز مريض ، نائم فى سريره وضغطه منخفض ، وبينما كان يغط فى نومه كان يحلم أن «بابا نويل» يأتى فى جوف الليل ليُعطيه هدية على شكل بترول بدلاً من الألعاب التى يعطيها للأطفال .

كان الفنان صاروخان على مدار ست سنوات خلت يتناول فى رسومه الكاريكاتورية ما يتواكب والمستّجدَّات اليومية لتوالى الأحداث ، فكانا يتفاعلان مع تلك الأحداث ويُبدعان ما يختزل هذا الحدث أو ذاك برسمة بديعة بليغة كانت عادة تتواكب مع توجهات النظام الحاكم . وقُبيل معركة العبور المجيدة بأيام قليلة ، رسم الفنان ما يُشبه تنبؤه بهذا العبور ، فرسم



صاروخان «المواطن العربى» بهيئة ضخمة مقارنة بالأعضاء المجتمعين بمجلس الأمن، ولا فائدة من اجتماعاتهم وقراراتهم. وقد وقف «المواطن العربى» ناظراً لهؤلاء المجتمعين، وفى يده اليسرى دلواً به سائل تنظيف، وبيده اليمنى ماسحة صوبها نحو بقعة سوداء على حائط مقابل (٥ يونية ١٩٦٧)، وعلّق صاروخان على رسمته بالعامية المصرية: «آسف . . . مهما اتكلمتم أنا عارف إنها مسئوليتى أنا وحدى إنى أمسح النقطة السودة من حياتى».

ويُكمل صاروخان أمانيه برسمة «المواطن العربى» راكباً عربة تحرير أحمس، ذات الحصانين والعجلتين، وكان الحصانان منطلقين بسرعة فائقة، فلم تفلح محاولات نيكسون الواقف على جانب الطريق كقطاع



الطرق، محاولاً أن يُلقى ما يعيق انطلاق العربة (فيتو أمريكى)، لكنه يفشل وتسير العربة الحربية فى طريقها لتحرير الأرض ورد الاعتبار.



واندلعت الحرب قوية مزلزلة بهتاف «بسم الله، الله أكبر» ظهر يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ليمحو المصريون أسطورة الجندى الإسرائيلى الذى لا يُقهر، والقناة التى لا تُعبر، وخط بارليف الذى لا يُخترق.

وقد صوَّر الساحر الأرمنى صاروخان قادة إسرائيل بملابس مهلهلة منكسى الرؤوس يتبادلون الاتهامات فيما بينهم بشأن هزيمتهم فى حرب ٦ أكتوبر، بينما وقف الجندى المصرى ينظر إليهم مرفوع الرأس ممسكاً بسلاحه موجهًا حديثه لهم قائلاً: «مافيش فايدة من الخناق . . أنا السبب فى هزيمتكم . .» .

استـدراك

فى الصفحة الخامسة من العدد الماضى ذكرنا أن مصدر «على سبيل الافتتاحية» مجلة :

The Armenian Review

لكن المصدر الصحيح هو :

The Armenian Weekly



القضية الأرمنية فى اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة
العرب واكتشاف الآخر

إعداد : د. سحر حسن

فى السادس من نوفمبر ٢٠١٣ انطلق فى القاهرة فعاليات مؤتمر «تاريخ الوطن العربى عبر العصور : العرب واكتشاف الآخر» ، الذى نظمه اتحاد المؤرخين العرب على مدار يومىّ ٦ ـ ٧ نوفمبر . وقد شهد المؤتمر تكريم نخبة من رواد المؤرخين من مصر وسائر البلدان العربية ، ناقش مجموعة كبيرة من الأوراق البحثية التى شملت كل فروع التاريخ بدءاً من التاريخ القديم ومروراً بالتاريخ الوسيط والإسلامى وانتهاءً بالتاريخ الحديث والمعاصر .

ولكن ما يهم مجلتنا الغراء فى هذا الصدد هو موضوع «رؤية العرب للأرمن العثمانيين ١٨٧٨ ـ ١٩٢٣» للدكتور محمد رفعت الإمام أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر بآداب دمنهور .

وحسب دراسة د. الإمام ، فقد عكست المصادر العربية بامتياز القضية الأرمنية بكل أبعادها وملابساتها وتداعياتها منذ تدويل المسألة الأرمنية بموجب المادة «٦١» من معاهدة برلين (١٨٧٨) وحتى إجهاضها دولياً فى مؤتمر لوزان (١٩٢٣) . ويُقصد هنا بالمصادر العربية ـ أو بالأحرى الكتابات العربية ـ تلك الأدبيات التى كتبها عرب ، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين ، بلغة الضاد وتعاطت القضية الأرمنية خلال الفترة قيد الدراسة أو بعدها بقليل . ومن ثم تخرج الدراسات والكتابات العربية الحديثة عن هيكل هذه الدراسة . ويقع المدى الجغرافى للمصادر العربية فى الأقطار ذوات الصلة بالأرمن عموماً والقضية الأرمنية خصوصاً . وهنا ، تتجلى الأدبيات الصادرة من مصر وبلاد الشام والعراق والحجاز .

دكتوراة
جامعة عين شمس

وقد ارتكزت هذه الدراسة على النصوص العربية بشكل جوهرى ، ومن ثم ، تخرج الأرشيفات الرسمية عن إطارها . إذ أن المحتوى الأرشيفى العربى آنذاك كان صدى للأرشيفات العثمانية والبريطانية والفرنسية ، وهى أرشيفات الدول صاحبات الهيمنة السياسية والعسكرية على الديار العربية . ومن ثم لا تتسم هذه الأرشيفات بخصوصية عربية وقتذاك . وتتسم المصادر العربية بالتعدد والتنوع واختلاف المشارب والمضارب . وفى هذا الصدد ، ثمة ألوان متباينة من المصادر : الدراسات والمؤلفات ، الكتابات الصحفية ، الأدب ، الشعر . . . إلخ .

وتأسيساً على ما سبق ، يُمكن تقسيم المصادر العربية قيد الفحص والتمحيص إلى نمطين أساسيين وهما :

١ـ **المؤلفات السياسية والأدبية :** ويُمكن أن نُطلق عليها «الكتابات الأيديولوچية» .

٢ـ **الكتابات الصحفية :** ويُمكن أن نُسميها «كتابات الرأى العام» .

نجد من أعمال النمط الأول : كتابات مصطفى كامل ومحمد فريد وفايز الغصين ومحمد كرد على وولى الدين يكن وفكرى أباظة . وقد اتسمت هذه الكتابات بكونها سلسلة متصلة الحلقات فى معالجة القضية الأرمنية . ففى كتابات كامل وفريد ويكن نرصد القضية منذ نشوئها عند منتصف القرن التاسع عشر وحتى نهاية المذابح الحميدية . وفى أعمال المنفلوطى والرصافى وغيرهما نتلمس المرحلة الانتقالية بين الحقبتين الحميدية والاتحادية التى شهدت مذابح أضنة عام ١٩٠٩ . وفى مؤلفات الغصين وكرد على وأباظة تبرز بجلاء الإبادة الأرمنية عام ١٩١٥ زمن الحكومة العثمانية الاتحادية .

وثمة ملاحظة على النمط الأول أنها لم تنكر وقوع المذابح الحميدية أو الإبادة الاتحادية . لكن معظمها قد انصبت فى قوالب تبريرية .

على سبيل المثال ، لم ينكر مصطفى كامل وقوع المذابح الحميدية ، ولكنه اجتهد فى نفى أنها سياسة عثمانية رسمية تبناها النظام العثمانى الحاكم ، وسعى حثيثاً لإثبات أنها رد فعل على خيانة الأرمن لدولة الخلافة الإسلامية ، وتعاونهم الوثيق مع بريطانيا ـ وهى الدولة المحتلة مصر . وكذا ، اجتهد كامل لترويج القضية الأرمنية فى سياق دينى مؤداه : أقلية أرمنية مسيحية تتعاون مع «القوى الصليبية» وتحتمى بها للنيل من الإسلام مجسَّداً فى السلطنة العثمانية .

ومن هذا القبيل أيضاً ، فايز الغصين الذى يُعد رائد التأريخ لوقائع الإبادة الأرمنية عام ١٩١٥ ؛ إذ أن كتابه صدر بالقاهرة فى خريف ١٩١٦ قبل أن تنتشر كتابات برايس وتوينبى وغيرهما . ورغم هذه الريادة ، فإن جل مبتغى الغصين من وراء عمله هو تبرئة الإسلام كدين وعقيدة ونصوص مقدسة من كونها المحرِّض على إبادة الجنس الأرمنى .

أما فيما يتعلق بالنمط الثانى ، فقد ذكر د . الإمام بأن المكتبة العربية تمتلك ذخيرة قيِّمة من الدوريات التى تُشكل منجماً معلوماتياً وفكرياً نادراً لمتابعة المواقف الرسمية والاتجاهات الفكرية العربية إزاء القضية الأرمنية . ليس هذا فحسب ، بل إنها تعكس بجلاء نبضات الشارع العربى إيجابياً وسلبياً وبكل وجوهه إزاء الأرمن . وأشار د . الإمام إلى أن الدوريات العربية لم تُقدِّم قاعدة معلومات فقط عن القضية الأرمنية ، بل عبَّرت عن فروع ثقافية متضافرة ومتنافرة ، ولكنها صبت جميعها فى المجرى العام للرؤية العربية إزاء القضية الأرمنية .

وأخذ د . الإمام يقرأ على الحضور من معظم البلاد العربية لاسيما تلك التى آزرت مصر بعد ثورة ٣٠ يونية (السعودية ، الإمارات ، الكويت ، البحرين ، الأردن) مقتطفات من صحف «القبلة» الحجازية و «التقدم» و «العاصمة» السوريتين و «الأخبار» و «الأهرام» المصريتين . وقد ركز د . الإمام على فتوى شيخ الأزهر سليم البشرى التى حرَّم بموجبها قتل الأرمن فى إقليم أضنة . وقد نشرت جريدة المؤيد ، وهى جريدة مصرية إسلامية عثمانية التوجه ، نص الفتوى على مدار أيام ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ أبريل ١٩٠٩ .

وبخصوص الإبادة الأرمنية عام ١٩١٥ ، قرأ د . الإمام من جريدة «الأهرام» القاهرية هذا النص على خلفية مطالب الأرمن بإنشاء دولة خاصة بهم أثناء فعاليات مؤتمر فرساى (١٩١٩) . قالت «الأهرام» فى ١٢ مارس ١٩١٩ : «إن الألمان وتلاميذهم الاتحاديون لم ينظروا إلى حل مسألة الأرمن على هذا الوجه ، بل كانت خطتهم محو العنصر الأرمنى . وقد اتضح ذلك

من عملهم وأقوال الشهود العدول» . وفيما يتعلق بعملية تهجير الأرمن إلى ولاية حلب العربية ، علّقت الجريدة بقولها : «أما الجهة التى قاموا بنقلهم إليها ، هى ولاية حلب العربية ، ولكنهم كانوا يفنونهم فى الطريق لأن الغرض الصحيح لم يكن الإبعاد بل الإفناء» .

واختتم د. الإمام ورقته بأن القضية الأرمنية قد تواجدت بقوة فى بطون المصادر العربية التى تُعد بمثابة «رمانة ميزان» معلوماتياً وفكرياً بين المصادر الأرمنية والتركية والأجنبية .

وجدير بالتسجيل أن ورقة د. الإمام قد أثارت العديد من التساؤلات والمداخلات . فقد أشاد د. محمود متولى أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة قناة السويس بموضوع الورقة وسأل عن «لماذا الأرمن العثمانيين ؟» . أجاب د. الإمام بأن أرمينية فى التاريخ الحديث انقسمت إلى قسمين ، أحدهما يقع تحت الاحتلال الروسى والآخر تحت الاحتلال العثمانى ، وهو ما يُشكل شرق الأناضول . وسألت د. سحر حسن باحثة بمركز تاريخ مصر المعاصر عن سبب رعب تركيا عندما لوّحت مصر فى الآونة الأخيرة بـ «الاعتراف بالمذبحة الأرمنية» . أجاب د. الإمام بقوله : تحتل مصر مكانة محورية فى العالمين العربى والإسلامى ، بل فى الشرق الأوسط كله . ولذلك ، فإن مصر عندما أثارت قضية «الإبادة الأرمنية» على خلفية محاربة تركيا لإرادة الشعب المصرى ، فهى بذلك قد وجَّهت ضربة قوية للإدارة التركية . وفى حال اعتراف مصر رسمياً بهذه الإبادة ، سوف تُوجِّه مصر ضربة قاضية لطموح أردوغان فى قيادة «شرق أوسط إسلامى» بزعامة تركيا التى ألغت الخلافة الإسلامية رسمياً فى عام ١٩٢٤ . كما يعكس رد الفعل التركى الأرعن مصداقية الجريمة التى ارتكبها الأجداد فى حق الأرمن عام ١٩١٥ .

وكانت غالبية الأسئلة والاستفسارات إيجابية على عكس د. محمد البيلى أستاذ التاريخ الإسلامى بآداب القاهرة الذى جاءت تعليقاته سلبية وخارج سياق المحاضرة تماماً . فقد بدأ ملاحظاته بقوله : «د. محمد رفعت الإمام هو صوت أرمنى ولكن بجنسية مصرية» . ثم وجه اللوم لإدارة الاتحاد على قبول هذا الموضوع ، ثم قال بالحرف الواحد : «لا يجوز طرحها (القضية الأرمنية) فى غياب الطرف الآخر (تركيا) !» .

أجاب د. الإمام قائلاً : «د. البيلى اتهمنى علانية بالتحيُّز جزافاً بدون أى دليل . فلم يأخذ معلومة أو فكرة واحدة وردت فى البحث وراح يُفندها ويُثبت من خلالها أننى متحيز . ويبدو أن د. البيلى لم يسمع المحاضرة ، ولم تمر على عقله مطلقاً لأنه يحمل فى وجدانه فكرة عقيدية غير علمية على الإطلاق . إن كل معلوماتى وأفكارى مستقاة من مصادر عربية كتبها مسلمون : مصطفى كامل ، محمد فريد ، ولى الدين يكن ، المنفلوطى ، فكرى أباظة ، فايز الغصين ، محمد كرد على ، معروف الرصافى وغيرهم علاوة على فتوى الشيخ سليم البشرى . وبالتالى ، أين التحيز فى كتابات هؤلاء الذين كانوا فى الغالب محسوبين على الجامعة الإسلامية أو الجامعة الوطنية ؟» .

وبخصوص الملاحظة الثانية ، وجه د. الإمام الكلام إلى د. البيلى بحدة وشدة صارمتين قائلاً : هل من أجل دراسة القضية الأرمنية لابد من أخذ إذن أردوغان ؟ فإذا كنتَ تتبنى السياسة الأردوغانية فى مصر ، فإننى أرفض أن تفرضها علينا» . وبعد هذا الرد المفحم من د. الإمام ، أنهى الأستاذ الدكتور محمد بن ناصر الملحم أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية الجلسة التى استغرقت أكثر من ساعتين .



أكتوبر ١٩٧٣
الفصل الأخير للأغنية الوطنية فى القرن العشرين

٢ من ٢

بقلم : أ . د . نبيل حنفى محمود

سطّرت الأغنية الوطنية آخر فصولها فى تاريخ الغناء المصرى خلال القرن العشرين على وقع معارك ملحمة السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، ليبدأ تقويض دعائمها بعد أشهر قلائل من صمت المدافع عند جبهات القتال ، وقد تعددت مظاهر ذلك التقويض ، وإن كان رحيل النجوم من أهل الغناء هو أهم تلك المظاهر ، حيث اجتاح الرحيل جميع العناصر العاملة بصناعة الغناء من شعراء وملحنين وأصوات غنائية ، حتى غدت دوحة الغناء خرابة تنعق فيها أصوات تفتقر إلى أبسط الجماليات بكلمات تخدش الذوق والسمع وعلى ألحان تنبو عن الأصول والقواعد. لقد تدفقت أغنيات ذلك الفصل الرائع من تاريخ الغناء المصرى بعد ساعات قلائل من عبور طلائع الجيش المصرى لمانع قناة السويس البالغ الصعوبة . وقد تُوِّج ذلك العبور الأسطورى برفع العلم المصرى ـ بعد دقائق من عبور القوات المصرية للقناة ـ على الضفة الشرقية للقناة ، مما ألهب حماس ومشاعر الجيش والشعب معاً ، فتفجرت قرائح الشعراء بنصوص غنائية تُعبر عن مشاعر الفرحة والعزة والفخار ، مما خلّص الأغنية الوطنية من أدران ما لحق بها من تمجيد للحاكم وترديد للشعارات ، فانطلقت الأغنيات الأكتوبرية تُمجِّد البطولة وتُخلِّد التضحيات عبر ميكروفون الإذاعة وشاشتىّ السينما والتليفزيون ، والمقالة الحالية ـ التى تأتى فى احتفال (أريك) بانتصار أكتوبر ١٩٧٣ ـ ترصد ما أطلقته الإذاعة وصورته السينما وأنتجه التليفزيون من تلك الأغنيات ، التى نفتقدها اليوم فى طوفان الأغنية الشبابية الذى اقتلع كل ما هو جميل فى الغناء المصرى .

فى السينما

أضاعت السينما المصرية فرصة العمر ، وذلك بتفريطها فى توثيق أحداث حرب أكتوبر ١٩٧٣ وبطولاتها ، فبعد أخبار صحفية وأحاديث فى مختلف وسائل الإعلام عن مشاريع لأفلام سوف تُخلِّد نصر أكتوبر العظيم ، وكما يقول المثل « خض الجبل فولد فأراً» ، لنجد فى أرشيف السينما المصرية ـ الآن وبعد أربعين عاماً بالتمام والكمال ـ خمسة أفلام ، لا يرقى أى منها لمستوى أداء الجيش فى تدريب أو مناورة ، وليس فى معركة غيَّرت موازين القوى وإستراتيجيات الدول . كانت الأفلام الخمسة ـ وطبقا لتتابع تواريخ عرضها الأول المثبتة مع أسمائها ـ كما يلى : (الرصاصة لا تزال فى جيبى : ٦ أكتوبر ١٩٧٤) ـ (الوفاء العظيم : ٦ أكتوبر ١٩٧٤) ـ (بدور : ١٤ أكتوبر ١٩٧٤) ـ (أبناء الصمت : ١٦ نوفمبر ١٩٧٤) و (العمر لحظة : ٣٠ سبتمبر ١٩٧٨) ، أربعة أفلام منها توالت عروضها الأولى فى حوالى أربعين يوماً ، وجرى

أستاذ بكلية الهندسة
جامعة المنوفية

إنتاجها جميعاً فى قرابة عام واحد انصرم بعد اندلاع معارك الحرب . ولم تكن الحرب المجيدة بما تضمنته من بطولات وتضحيات محور حكاياتها أو المحرِّك لأحداثها ، ولكن جرى إقحام الحرب وبطولاتها بشكل متدرِّج الفجاجة فى تلك الأفلام . ولنضرب مثلاً هنا لذلك بما كتبه الناقد السينمائى الراحل سامى السلامونى عن فيلم «الرصاصة لا تزال فى جيبى» بالعدد رقم (٢٠١٥) من مجلة «الإذاعة والتليفزيون» الصادر فى ٢٧ أكتوبر ١٩٧٤ ، حيث قال عن مضمون الفيلم الآتى : «إن الإطار الدرامى لهذا الفيلم هو أسوأ ما فيه، حيث تبدو الأحداث الشخصية متخبطة بين الرمز والواقع . . . فلا تُقنع أحداً ، وحيث تظل تحت مستوى الجزء الخاص بالمعارك ، الذى لا أتصور كيف كان يبدو الفيلم بدونه» . وبالرغم من ذلك . . . لم يُحاول مخرج الفيلم حسام الدين مصطفى أن يستعين ولو بأغنية واحدة تُمجّد ما شهدته الحرب من بطولات، وهو بذلك يتخلى عن تقليد استنته السينما المصرية فى كثير من أفلامها ، حيث كان القائمون على إنتاج تلك الأفلام يتحينون الفرص أو يختلقونها لحشر الغناء بين أحداث لا تحتمل غناءً فى سياقها . ولنتذكر هنا بعض الأفلام التى نجح مخرجوها فى إدراج بعض الأغنيات الوطنية فى ثنايا ما دار بها من أحداث ، ومن تلك الأفلام : فيلم «فتاة من فلسطين» الذى جاء عرضه الأول فى يوم الاثنين ١ نوفمبر ١٩٤٨ ، وفيه استضافت فتاة فلسطينية طياراً مصرياً سقطت طائرته خلال معارك حرب ١٩٤٨ وعالجت إصابته ، فى ذلك الفيلم تغنت المطربة سعاد محمد التى لعبت دور الفتاة الفلسطينية بالأغنية الحماسية الشهيرة «يا مجاهد فى سبيل الله» ، كانت الأغنية من تأليف بيرم التونسى ومن ألحان رياض السنباطى . وفى فيلم «ودعت حبك» الذى عُرض لأول مرة فى يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، وتزامن عرضه الأول مع أحداث العدوان الثلاثى على مصر ، اشتركت المطربة شادية مع الموسيقار فريد الأطرش فى إنشاء الثنائية (الديالوج) الوطنية «إحنا لها» ، التى نظمها عبد العزيز سلام ولحنها بالطبع فريد الأطرش . كذلك تضمن فيلم «بورسعيد» أغنيتان وطنيتان من نظم الشاعر عبد الله شمس الدين ومن ألحان محمود الشريف ، أولاهما حملت اسم «التأميم» ، وثانيتهما هى النشيد الرائع «الله أكبر» . هذا ، وقد عرض الفيلم لأول مرة فى٨ يولية ١٩٥٧ .

أما فى الأفلام الخمسة التى أنتجتها السينما المصرية عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، فقد نسى مخرجوها ومنتجوها «اللازمة الشهيرة» التى تكررت فى أفلام لا حصر لها وقبل ١٩٧٣ ، تمثلت تلك اللازمة فى (حشر) الغناء فى مواقف لا يجد المشاهد مسوِّغاً للغناء فيها . وتاهت تماماً عن مخيلاتهم فكرة وضع أوبريت أو ديالوج غنائى لتخليد أحداث الحرب وما شهدته من بطولات ، لتخرج الأفلام الخمسة وقد خلت تقريباً من الغناء للوطن . ولم تتضمن تلك الأفلام الخمسة سوى أغنية واحدة بإسم «رجع الحمام للبنيّه» ، كتبها حسيب غباشى ولحنها حلمى أمين وتغنت بها هدى سلطان فى فيلم «بدور» . فإذا ما أضفنا لذلك أغنية شعبية انطوى عليها فيلم «العمر لحظة» ، لأدركنا حجم الهزال الذى أصاب الأغنية الوطنية فى أفلام أكتوبر التى قدَّمتها السينما المصرية ، ولتحققنا من صدق القول بأن السينما المصرية قد أضاعت فرصة العمر لتخليد النصر الوحيد فى تاريخ مصر الحديث ، وربما لإنتاج أغنية وطنية حقيقية تُعبِّر عن بطولات شاهدها الناس مشاهدة العين.

وبالرغم من ذلك ، فقد حوى أرشيف السينما المصرية سبقاً تاريخياً حققته مع حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، جاء ذلك السبق فى فيلم «العصفور» ، الذى أخرجه يوسف شاهين وعُرض لأول مرة فى يوم الاثنين الموافق ٢٦ أغسطس ١٩٧٤ ، حيث سجل شاهين ـ وقبل بدء الحرب فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ـ أغنية سوف تُقدَّم فى أحداث الفيلم ، حملت الأغنية اسم «رايات النصر» ،

وكانت من تأليف نبيلة قنديل ومن ألحان على إسماعيل ، وفيما يلى نُقدم نص تلك الأغنية الجميلة التى تُمثِّل لهجة جديدة فى الغناء للوطن :

رايحين رايحين — شايلين فى إيدنا سلاح
راجعين راجعين — رافعين رايات النصر
سالمين سالمين — حالفين بعهد الله
نادرين نادرين — واهبين حياتنا لمصر
باسمك يا بلدى — حلفنا يا بلدى
جيشك وشعبك — يرد التحدى
أرضك وزرعك — شمسك وقمرك
شعرك ونغمك — نيلك وهرمك
بدمى أفادى — واصد الأعادى
وأفدى بروحى — عيونك يا مصر
شرفك يا بلدى — وعزة كرامتك
يا غالية ده حقك — أمانه فى رقبتى
حبك وسحرك — ليلك وكرمك
فى نخلك ودربك — فى صبرك وسهرك
فى صحوى هنادى — وفى استشهادى
هسجل نشيدى — فى تاريخك يا مصر

تخلص على إسماعيل فى لحنه الذى وضعه من مقام النهاوند للنص السابق الذى نظمته زوجته الشاعرة نبيلة قنديل من المباشرة والزعيق والصراخ مما عُدّ سمة للأغنية الوطنية فى عصور سابقة . وعندما انطلقت طلائع الجيش المصرى لتعبر القناة فى اليوم الأول للحرب ، قام يوسف شاهين : مخرج فيلم «العصفور» بإهداء نسخة من أغنية «رايات النصر» إلى الإذاعة ، التى قامت بإذاعتها منذ اليوم الأول للحرب (محمد دياب : ثمانون أغنية لأكتوبر لا نعرف منها إلا عشرين، الكواكب ، العدد ٣٢٤٣ ، ١٥ أكتوبر ٢٠١٣ ، ص ص ٢٤ ـ ٢٧) .

فى التليفزيون

جاء أداء التلفزيون مخالفاً لما حققته السينما من فشل فى الإفادة من المشهد الأسطورى لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، حيث توالت الأخبار فى وسائل الإعلام تزف للقراء من مشاهدى التلفزيون أنباء ما يُصوِّر من أغنيات وطنية تتفاعل مع وقائع الحرب . ومن تلك الأخبار ، الخبر الذى تناول بدء تصوير خمس أغنيات وطنية للتلفزيون خلال الأيام الأخيرة من شهر أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد أوردت مجلة «الإذاعة والتلفزيون» ذلك الخبر فى باب «حديث المدينة» بالعدد رقم (٢٠١٥) الصادر فى ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣ ، تضمن الخبر أن ثلاثاً من الأغنيات الخمس التى سيجرى تصويرها للمطربة ليلى نظمى ، وأن أسماء الأغنيات الثلاث كما يلى : «عيد البنادق» و«يا بلادى» و «أشجع الشجعان» ، وأضاف الخبر إلى ذلك أن الأغنيتين الباقيتين هما «دعاة السلام» لسهير حشمت و نشيد «النصر لنا» للمجموعة ، وأضاف ذلك الخبر أن تلك الأغنيات من إخراج عبد الهادى طه . خمس أغنيات صوَّرها التلفزيون فى بضعة أيام ، بينما انحصرت حصيلة خمسة أفلام أُنتجت فى قرابة العام فى أغنيتين أو ثلاث ، لم يتبق منها فى الذاكرة سوى أغنية واحدة ، هى أغنية «رايات النصر» التى استمدت شهرتها من بث الإذاعة لها .

جاءت الممثلة والمؤدِّية سعاد حسنى فى طليعة من تجملت أصواتهم بالغناء لحرب أكتوبر المجيدة ، حيث قدَّمت ثلاث أغنيات وطنية خلال أحداث تلك الحرب ، سجلت سعاد الأغنية الأولى للتلفزيون . وقد تحدثت مجلة «الإذاعة والتلفزيون» فى عددها رقم (٢٠١٧) الصادر فى ١٠ نوفمبر ١٩٧٣ ، عن الأغنية الأولى لسعاد حسنى ، فقالت المجلة الآتى فى باب «حديث المدينة» بالعدد المشار إليه قبلا : «سعاد حسنى تُغنى كلمات صلاح چاهين وألحان سيد مكاوى فى فيلم جديد ، تراه فى وقت واحد على الشاشتين الكبيرة والصغيرة ، الفيلم يحكى حدوتة (بياعة) جرائد تُحب جندياً فى الجبهة ، وتُنادى على الأخبار بحبها لمصر ، وبعشقها للمقاتل المصرى فى مواجهته جند إسرائيل ،

كلمات الأغنية التى تنشدها سعاد تقول :

صدّقت بقى يا ابنى انت وهوه

إن الحياة ماشية كده هوه

وأن ما يؤخذ بالقوة

لا يسترد بغير القوة

أرفقت المجلة بالخبر السابق ثلاث من الصور ، بدت سعاد حسنى فى الأولى منهم ممسكة بيد الملحن الشيخ سيد مكاوى ، وأظهرتها الثانية أثناء التسجيل فى الإستوديو ومعها كورال نسائى ، وفى الثالثة بدت وهى تُنصت إلى حديث من المخرج المعروف حسين كمال ، الذى ظهر إلى جواره فى الصورة الشاعر الكبير صلاح چاهين . ومن المهم أن نذكر هنا أن البيت الثانى من مطلع الأغنية هو صياغة شعرية لشعار أطلقه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وتردد كثيراً على ألسنة الجماهير : «إن ما أُخذ بالقوة . . . لا يُسترد إلا بالقوة» . تتبقى هنا ملاحظة أخيرة حول تلك الأغنية ، تتلخص فى أننا لا نعلم الآن على وجه اليقين هل ظهرت الأغنية فى فيلم سينمائى أيضاً كما قال الخبر الذى نُشر عنها بمجلة «الإذاعة والتلفزيون» أم لا ؟ .

وأما الأغنية الثانية التى أدتها سعاد حسنى من أغانيها الثلاث عن حرب أكتوبر فهى الأغنية الشهيرة «دولا مين . . . دولا مين . . . دولا عساكر مصريين» ، والتى شاركها فى أدائها كورال من الأطفال . كانت الأغنية من نظم الشاعر أحمد فؤاد نجم ومن ألحان كمال الطويل ، ونص تلك الأغنية التى عاشت طويلاً وربما بسبب ما أشاعه فيها صوت الأطفال من بهجة وانطلاق كما يلى :

دولا مين ودولا مين — دولا عساكر مصريين
دولا مين ودولا مين — دولا ولاد الفلاحين
دولا الورد الحر البلدى — يصحى يفتح اصحى يابلدى
دولا خلاصة مصر يا ولدى — دولا عيون المصريين

دولا مين ودولا مين
دولا أخواتنا ودولا بنينا — دولا الأمل اللى مخلينا
دولا المجد اللى مخلينا — فوق الجرح نعود سالمين
دولا مين ودولا مين
دولا يا سينا ولاد الشهدا — دولا التار لا ينام ولا يهدا
خلى ترابك يسكن يهدا — طول مابهيه بحضن ياسين
دولا مين ودولا مين

وأما الأغنية الثالثة لسعاد حسنى فهى «تمام يا دفعة» التى كتبتها الشاعرة نبيلة قنديل ولحنها على إسماعيل ، قدَّمت سعاد الأغنية لأول مرة فى حفل تكريم الجرحى من أبطال العبور ، ذلك الحفل الذى أُقيم فى الأيام الأخيرة من شهر مايو ١٩٧٤ بمستشفى المعادى العسكرى ، وقد حضره الرئيس الراحل محمد أنور السادات (آخر ساعة : العدد ٢٠٦٧ ، ٥ يونية ١٩٧٤) ، ومثل المقطع التالى مطلع الأغنية :

بالخطوة السريعة — للعلا كتفاً سلاح
بالخطوة المضيئة — للسلام جنباً سلاح
بالخطوة الجريئة — رجعت أرضنا البراح

واستقبل الأبطال فى ذلك الحفل بالهتاف والتصفيق المقطع التالى من الأغنية :

بالفرحة الكبيرة — مبروك عليك الوسام
عنوان البطولة — على صدر الجندى الهمام
برنين التكبيرة — عدينا الخط الأمام

اقتحمت أغانى أكتوبر معظم برامج التلفزيون المصرى خلال الأيام التالية لعبور الجيش المصرى قناة السويس وتحريره لمساحات شاسعة من أرض سيناء ، وعن احدى تلك الأغانى تحدثت مجلة «الإذاعة والتلفزيون» فى باب «حديث المدينة» بعددها (٢٠١٦) الصادر فى ٣ نوفمبر ١٩٧٣ ، تحدثت المجلة عن تسجيل أغنية وطنية لبرنامج الأطفال فى التلفزيون ، قالت المجلة عن الأغنية أن مؤلفها هو سعد المصرى ، وأن

ملحنها هو الملحن السورى رضوان رجب ، وقد أنشدها طلعت عطية بمشاركة كورال من الأطفال ، استهدفت الأغنية توعية الأطفال بما تنطوى عليه الحروب من خدع خسيسة ، وهو ما تعبر عنه الأبيات التالية من الأغنية :

خلى بالك من الأعادى　　خلى بالك
فيه حاجات من الطيارات　　حترميها لك
ولاعة ,قلم أبنوس　　خلى بالك
ولا راديو وعلبة بودره　　معبيها لك
خلى بالك
لما تلمسها بايديك　　دوغرى حتلاقى إنفجار
مش ضرورى تمد ايدك　　بلغ عنها ليل نهار
فوّت الفرصة على الأعادى　　كلنا نعيش أحرار

لم يقنع التلفزيون بما أنتج من أغان وطنية خلال تلك الأيام المجيدة من تاريخ مصر ، فامتد نشاطه إلى تحويل بعض ما قدمت الإذاعة من أغان وطنية إلى أغان تلفزيونية ، ولنضرب مثلاً هنا على ذلك بما جاء فى الخبر الذى تضمنه باب «حديث المدينة» : فى العدد رقم (٢٠١٨) من مجلة «الإذاعة والتلفزيون» الصادر فى ١٧ نوفمبر ١٩٧٣ ، نوّه ذلك الخبر عن تقديم أغنية فايزة أحمد «بحبك يا مصر» فى حلقة السبت ١٧ نوفمبر ١٩٧٣ من برنامج «النادى الدولى» ، وهو أحد أشهر برامج التلفزيون فى عقدىّ السبعينيات والثمانينيات ، وكان مقدم البرنامج هو الفنان المعروف سمير صبرى . ومن المهم أن نذكر هنا أن خبر تقديم تلك الأغنية فى برنامج «النادى الدولى» تضمن أيضاً الإشارة إلى سبق تقديمها بالإذاعة .

مشاهد ودلالات

مثل ذلك الفصل الجميل من الغناء للوطن ختاماً للعصر الذهبى الأخير فى الغناء المصرى ، ذلك العصر الذى امتد لقرابة نصف قرن فيما بين عشرينيات وسبعينيات القرن العشرين المنصرم ، ومن المدهش للمتأمل أن انبلاج فجر ذلك العصر كان مواكباً لثورة الشعب الكبرى فى عام ١٩١٩ ، وأن الإيذان بأفول ذلك العصر جاء مصاحباً لانتصار أكتوبر المجيد . ولعل فيما أحاط بغنائيات الفصل الأخير - ونعنى بذلك غنائيات أكتوبر ١٩٧٣ - من شواهد لها دلالات معينة ، مما يُفسّر الانهيار الذى اجتاح دعائم دولة الغناء بمصر ، ليُصبح الغناء المتقن - وبعد سنوات قليلة - بمصر أثراً بعد عين .

مما لا شك فيه أن للأغنية دوراً فى المراحل المختلفة من تاريخ الأمم ، وقد كتب فاروق أبو زيد وتحت عنوان : «وللأغنية أيضا دور» بالعدد رقم (٢٠١٤) من مجلة «الإذاعة والتليفزيون» والصادر فى ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ ، فقال الكاتب عن ذلك الدور الآتى : «فالأغنية المصرية مطالبة اليوم أن ترتفع إلى مستوى هذه الساعات المجيدة فى تاريخ مصر ، وأن تنشر بين الناس روح القتال وروح التضحية ، وأن تحث الناس على العطاء لا الأخذ ، وأن ترتفع مصلحة الوطن فوق مصلحة الأفراد» ، وكانت الوسيلة لذلك برأى فاروق أبو زيد : «أن يتحول المؤلفون والملحنون والمطربون إلى كتيبة من كتائب النصر ، وليتأكدوا أن هذه فرصتهم الوحيدة لتقديم فن جيد وصادق» ، ولكن المشاهد التى أفرزها الفصل الأخير للأغنية الوطنية وما يرتبط بها من دلالات ، أنبأت جميعها بقرب زوال ظاهرة الغناء للوطن ، تلك الظاهرة التى ظلت معلماً رئيسياً من معالم الغناء فى عصره الذهبى الأخير ، وبالطبع جاء انهيار صناعة الغناء ختاماً لما نبأت به المشاهد وما يرتبط بها من دلالات .

يُعد البروز الواضح لدور الغناء الجماعى فى غنائيات أكتوبر ١٩٧٣ ، أول وأهم المشاهد التى أسفرت عنها تلك الغنائيات ، يأتى الدليل على ذلك من البيانات التى قُدِّمت قبلاً فى هذه المقالة عما أنتجته الإذاعة من أغنيات وطنية خلال الفترة من بدء الحرب فى ٦ أكتوبر

وحتى الأيام الأولى من نوفمبر ١٩٧٣ ، حيث يتضح لنا من هذه البيانات أن عدد الأغنيات التى أدتها «مجموعة المنشدين» أو كل من «الثلاثى المرح» و«ثلاثى النغم» قد بلغ اثنتى عشرة أغنية ، وبما يُعادل أكثر من ٣٥ ٪ من عدد الأغنيات التى أنتجتها الإذاعة خلال تلك الفترة وهو ٣٤ أغنية . ومن المهم كذلك أن نذكر الدور الواضح الذى لعبته «مجموعة المنشدين» فى كثير من الأغنيات بمصاحبة الأداء الفردى للمطربين والمطربات ، مما أسبغ - على وجه الإجمال - طابعاً جماعياً واضحاً لتلك الغنائيات . لذا ، يُمكن القول بأن الدلالة المعبرة عن هذا المشهد تتمثل فى انحسار دور النجم الأوحد فى الغناء المصرى ، وبروز دور الغناء الجماعى أو غناء الجماعات ، ثم نأتى إلى المشهد الثانى والمتمثل فى غلبة قالب الطقطوقة الشعبية على ما أُنتج من غنائيات أكتوبر ١٩٧٣ ، وتراجع الأغنيات الحماسية من قالب المارش والتى شكلت الجانب الأعظم من غنائيات الحروب والمناسبات الوطنية السابقة . إن ذلك المشهد ترتبط به دلالة لخصها الكاتب والباحث محمد دياب فى حالة التوجس والترقب التى كان عليها المجتمع ، تحسباً وتخوفاً من أن يكون فى أخبار الانتصارات التى تتحقق فى ميادين القتال ثمة خدعة ، كما حدث فى الحرب السابقة ، وهى حرب عام ١٩٦٧ (محمد دياب : مصدر سابق) .

ونأتى أخيراً إلى المشهد الثالث الذى أسفر عنه الفصل الأخير للأغنية الوطنية ، والمعنى بذلك الأصوات الغنائية التى تصدرت المشهد فى ذلك الفصل . فبالرغم من أننا سبق وأن أثبتنا فى هذه المقالة تصدر المطرب الكبير عبد الحليم حافظ للأصوات الغنائية التى شاركت فى الفترة الأولى من ذلك الفصل . فى تاريخ الأغنية الوطنية ، وذلك لتقديمه أربع أغنيات ، فإن المشهد الحالى يكشف اختفاء أصوات كبيرة مثل أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وفريد الأطرش عن الاحتفاء بنصر أكتوبر ، فغابت أغنياتهم عن ذلك الفصل ، رغم أنهم تصدروا المشهد فى فصول أخرى ، ومنها الفصل قبل الأخير للأغنية الوطنية ، ذلك الفصل الذى جرت وقائعه إبان حرب عام ١٩٦٧ . والى جانب غياب مثل تلك الأصوات الكبيرة ، أسفر المشهد عن ظهور كثير من الأصوات التى تفتقر إلى الكثير مما تميزت به أصوات الكبار . ويكفى للتدليل على صحة ذلك المشهد القول بأن ممثلة كسعاد حسنى قدمت ثلاث من أغنيات ذلك الفصل ، وأما دلالة ذلك المشهد فإنها تتلخص فى انقضاء عصر الأصوات الكبيرة والدخول فى عصر المؤدِّين والناعقين !

كلمة أخيرة

بانقضاء ذلك الفصل الجميل من العصر الذهبى الأخير للغناء المصرى ، وقبل أن تتلاشى أصداء غنائياته الجميلة من الأسماع ، بدأ تساقط النجوم برحيل الموسيقار فريد الأطرش فى ٢٦ ديسمبر ١٩٧٤ ، ثم لحقت به أم كلثوم فى اليوم الأربعين بعد وفاته ، ليتوالى وعلى مدار سنوات قلائل رحيل جميع النجوم من شعراء وملحنين ومطربين ومطربات . وعندما نتأمل الآن أحوال الأغنية الوطنية ، يأخذ الأسف منا بمجامع النفوس ، عندما نتأمل حصيلة الأغنية الوطنية فى ثورتىّ ٢٥ يناير ٢٠١١ و ٣٠ يونية ٢٠١٣ ، تلك الحصيلة المنحصرة فى بضعة أغنيات ، لا ترقى واحدة منها بحال إلى غنائية واحدة مما زها به فصل أكتوبر ١٩٧٣ فى تاريخ الغناء المصرى من غنائيات ، حتى أن الإذاعة والتلفزيون لا يجدان ثمة حرج فى تكرار إذاعة نشيد «اسلمى يا مصر» لصفر على و أغنية «صوت الوطن» لأم كلثوم . إن تمحيص ما تضمنته المقالة الحالية من أخبار الفصل الأخير من تاريخ الأغنية الوطنية ، سوف يطرح بين أيدينا حقيقة واحدة ، وهى أن انتظار عشاق الغناء العربى المتقن سيطول حتى يسمعوا مثيلاً لتلك الأغنيات مرة أخرى .

صحافة

وثائق مصرية تفضح مذابح الأتراك ضد الأرمن

نقلاً عن : الأهرام العربى ، ٣٠ نوفمبر ٢٠١٣

حوار : محمد الليثى

نسى النظام التركى أنه نظام من زجاج ، وأن تاريخه الدموى قديماً وحديثاً يجعله من أكثر أنظمة العالم فاشية وإجراماً . ويكفى صفحة واحدة من التاريخ الدموى للأتراك ، وهى صفحة المذابح الأرمنية ، لتجعل نظام الأتراك وصمة عار على الإنسانية والإسلام معاً . إن الوقائع والوثائق التى تملكها مصر فى مراكزها البحثية والتاريخية والقانونية خاصة أرشيف مؤسسة الأهرام ، والتى تُوثِّق لحظة بلحظة مذابح الإبادة التركية ضد الأرمن ، من شأنها أن تكشف للعالم كله حقيقة نظام أردوغان ، وتفضح دموية نظامه ، والأهم سر تمسكه بدعم نظام الإخوان الإرهابى فى مصر . ويرى الخبراء ومنهم الدكتور محمد رفعت الإمام ، الأستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة دمنهور ، فى حوارنا معه أنه حان الوقت لتعترف مصر بمذابح الأرمن ، وتفتح الباب واسعاً للشعوب التى قهرها الأتراك ، واغُتصبت أراضيها وحقوقها وانتهكت آدمية أبنائها مثل اليونانيين والأكراد والسريان والبلغار والعرب وغيرهم ليُطالبوا باستعادة أراضيهم ، والتعويضات المادية والأدبية .

هل هناك وثائق تحدثت عن مذابح الأرمن ؟

تُوجد ملايين الوثائق أرسلها الدبلوماسيون الغربيون بالأستانة والولايات العثمانية إلى وزراء الخارجية التابعين لها : بريطانيا ، الولايات المتحدة ، فرنسا ، ألمانيا ، النمسا ، روسيا وغيرها . وهذه الوثائق تُوثِّق لحظة بلحظة ما جرى للأرمن من انتهاكات واضطهادات وملاحقات وعذابات واغتصابات . باختصار ، تُوثَّق كل المآسى التى ألحقها الأتراك والأكراد بالشعب الأرمنى الأعزل . وفى العالم العربى عموماً ومصر خصوصاً ، آلاف الشواهد الدالة على فظاعة الجرم التركى بحق الأرمن والإنسانية . بداية ، يُوجد سيل من الصحف العربية التى سجلت يوماً بيوم آلام الأرمن والمذابح التى تعرضوا لها حتى انتهت بالإبادة فى عام ١٩١٥ . ويكفى تصفح جريدة «الأهرام» منذ أن صدرت فى ٥ أغسطس ١٨٧٦ وحتى نهاية مؤتمر لوزان ١٩٢٣ ليُدرك بنفسه حجم الكوارث التى أصابت الأرمن . وهناك الكتاب الأحرار والشرفاء الذين رفضوا انتهاك الإنسانية بهذه الصورة النكراء . نذكر من هؤلاء مصطفى لطفى المنفلوطى الذى كتب فى النظرات «لا همجية فى الإسلام» ، وولى الدين يكن التركى الجنس العربى الهوية الذى كتب «المجهول والمعلوم» ، وفكرى أباظة مؤلف «الضاحك الباكى» .

وتفتخر بمصر بريادتها بمسألة توثيق المذابح والإبادة التى لحقت بالأرمن . ففى أبريل ١٩٠٩ أصدر شيخ

الإسلام الإمام الأكبر الشيخ «سليم البشرى» شيخ الجامع الأزهر الشريف فتوى بتحريم قتل الأرمن لأن هذا يلحق العار بالإسلام والمسلمين ، والدين الإسلامى الحنيف ليس به أى نص يحض على قتل المخالفين فى الدين . وفى نوفمبر ١٩١٦ ، أصدرت جريدة «المقطم» القاهرية كتاب المحامى السورى فايز الغصين وعنوانه «المذابح فى أرمينيا» ، وهو أول كتاب فى العالم يتحدث عن هذه المذابح ، ويفضح الانتهاكات التركية ، ويبُرئ الإسلام من الحض على ارتكاب المذابح والإبادات فى حق البشر الأبرياء . كما تناولت الصحف الغربية موضوع الإبادة نقلاً عن هذا الكتاب . وخير شاهد على ذلك صحيفة «نيويورك تايمز» عام ١٩١٦ .

كيف قامت الحكومة العثمانية والإدارات التركية اللاحقة بإخفاء جريمة الإبادة الأرمنية ؟

فى البداية لابد من الإشارة إلى أن الحكومة العثمانية قد اعترفت رسمياً عام ١٩١٩ باقتراف النظام الحاكم (الاتحاد والترقى) جريمة تصفية الأرمن من شرقى الأناضول ، وذلك أثناء محاكمة رموز هذا النظام الذين أغرقوا الدولة العثمانية بدخولهم الحرب العالمية الأولى إلى جوار ألمانيا ، وهذا الاعتراف منشور فى الجريدة الرسمية العثمانية (تقويمه وقائعى) ، عدد ٣٦٠٤ (الملحق) ٢٢ يولية .

ومنذ عام ١٩١٥ تبذل الحكومات التركية المتعاقبة جهوداً جبارة لإخفاء آثار الجريمة وتتريك الأراضى والمنقولات والأصول الأرمنية قانونياً . وبالإضافة إلى الإنكار الذى يُعد سمة من سمات الإدارات التركية ، اتخذت السلطات التركية سلسلة قوانين لإضفاء الشرعية على جريمتها ونتائجها من عام ١٩١٥ وحتى الآن .

كيف أسهمت مصر فى إنقاذ الأرمن الناجين من المذابح والإبادة ؟

قبل منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر ، وُجدت جالية أرمنية مميَّزة أسهمت بامتياز فى خدمة الإدارة المصرية . ولكن منذ عام ١٨٩٤ ، استقبلت مصر آلاف اللاجئين الأرمن من المذابح الحميدية وعاشوا فى رحاب الشعب المصرى الكريم والمضياف . وفى ١٥ سبتمبر ١٩١٥ استقبلت مدينة بورسعيد ٤٢٠٠ أرمنى رفضوا تنفيذ قرار الترحيل ، واعتصموا بجبل موسى فى أنطاكية يُقاومون السلطات العثمانية لمدة ٤٥ يوماً حتى أنقذهم الاسطول الفرنسى فى البحر المتوسط ونقلهم إلى بورسعيد . وقد عاشوا هناك أربع سنوات حتى انتهت الحرب ، وعادوا إلى ديارهم سالمين آمنين . وأثناء حكومة الشعب ورئيسها سعد زغلول (١٩٢٤) سمح بدخول ١٠٠٠ يتيم أرمنى من القدس واليونان إلى مصر كى يتربوا بين أحضان الأسر الأرمنية فى مصر كأبناء لهم .

هل إثارة مصر الآن مسألة الإبادة الأرمنية رد فعل للممارسات التركية المشينة ضد ثورة ٣٠ يونية المجيدة التى قام بها الشعب المصرى لإزاحة حكم جماعة الإخوان المحظورة ؟

لاريب أن الشعب المصرى العريق قد انتفض على قلب رجل واحد فى ٣٠ يونية عندما شعر بأن مصر تضيع من بين يديه لحساب مشروع أمريكى - تركى - صهيونى لميلاد مشروع «شرق أوسط إسلامى» بقيادة أردوغان ونظامه . وكانت الجماعة المحظورة بمثابة الأيدى المنفِّذة لهذا المشروع نظير تمكينهم من السلطة الذين ظلوا يحلمون بها ٨٠ عاماً . ولكن عبقرية الشعب المصرى وفطنته الذكية قد تنبهت إلى كارثية هذا المخطط . ولهذا ، زأر الأسد المصرى محافظاً على عرينه . وسجل المصريون صفحة فى التاريخ الإنسانى لا مثيل لها .

فى هـذا الـسـيـاق ، جـاءت أقـذر ردود الـفـعل من أردوغـان ونظامه الحاكم ؛ فقد كان الرجل غارقاً فى أحلام قـيـادة الـعـالـم الإسلامى وتـأسـيس «الـدولـة الأردوغانية» فى ٢٠٢٤ . لإعادة الوصل مع «الدولة العثمانية» التى أسقطها الأتراك القوميون وألغوا الخلافة الإسلامية فى عام ١٩٢٤ ويبدو أن تركيا أردوغان قد ضحت بالنفيس والغالى من أجل تحقيق هذا الحلم . ولهذا ، أُصيب أردوغان بهستيريا مرضية جعلته يهذى فى آناء الليل وأطراف النهار ضد «مصر المحروسة» وشعبها العريق الضارب فى عمق التاريخ إلى أكثر من ٧ آلاف سنة . إن مصر الإنسانية والحضارة والدين المعتدل والوسط قد اعترفت بالإبادة الأرمنية عملياً وأدانتها فعلياً . ولهذا فإن فتح هذا الملف الآن ليس بجديد ، ولكنه مجرد تذكير للأتراك بتاريخهم الدموى .

وبعيداً عن الكُتاب الذين باعوا أنفسهم لتركيا ومشروع العثمانية الجديدة ، فتقليب صفحات التاريخ تُؤكد آلاف الشواهد على دموية الأتراك وعنفهم . هل نسى المصريون ذبح طومان باى الرجل المسلم الورع وتعليقه على باب زويلة ، لأنه دافع عن مصر والمصريين ؟ . هل نسى المصريون آخر خدمة الغز - الأتراك - علقة ؟ . هل نسى المصريون أنهم كرهوا دولة الاستبداد العثمانية ودعوا عليها (يا رب يا متجلى إهزم العثمانلى) ؟ . هل نسى المصريون أن الأتراك كانوا يُسمونهم «فلاح خيرسيس» ؛ أى لا خير فيه ؟ . هل نسى المصريون أن تركيا أول دولة إسلامية اعترفت بإسرائيل ؟ . هل نسى المصريون شماتة الأتراك فى مصر إثر هزيمة ١٩٦٧ ؟ . هل نسى المصريون مؤازرة تركيا لحليفها الإستراتيجى إسرائيل أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ ؟ . هل نسى المصريون محاولات تركيا لاستهداف دور مصر الإقليمى ؟ .

ورغم أن المحسوبين على مدرسة التاريخ يُحاولون تلميع صورة العلاقات العثمانية (التركية) المصرية ويتقاضون تمويلات لاريب أن أجهزة الأمن المصرى على علم بها ويُسخِّرون مواقعهم لخدمة هذا الغرض ، فإنهم لم ولن يتمكنوا من هذا لأن حجم الأحقاد التركية يتخطى حدود المعقول واللامعقول .

لقد وقعت فى تاريخ الدبلوماسية المصرية العريق خمس حالات طرد للسفراء الأجانب منهم ثلاث حالات طرد للسفير التركى ، أولها عام ١٩٥٢ إثر هجومه على ثورة يولية ١٩٥٢ ، والثانية بسبب شماتته لانفصال مصر عن سورية فى عام ١٩٦١ ، والثالثة بسبب البذاءات والانتهاكات التى يرتكبها أردوغان وسفيره بالقاهرة فى حق مصر شعباً وحكومة .

ما تأثير اعتراف مصر بمذابح الأرمن على تركيا ؟

سوف تُثبت مصر للعالم بأنها تُساند بقوة كل الشعوب المقهورة ، وربما تتجه دول أخرى للاعتراف بالإبادة تيمناً بـ «الشقيقة الكبرى» . ودينياً ، برغم أن مصر دولة إسلامية ، فإنها من هذا المنطلق حريصة على ألا يُلصق بالإسلام والمسلمين تهمة إبادة المسيحيين . وكما أدان الأزهر هذه الإبادة ١٩٠٩ ، فإن اعتراف مصر بعد ثورة ٣٠ يونية بهذه الإبادة يُكمل الموقف المصرى ويُتوِّج عظمته .

لاشك أن تركيا سوف تُصاب بأضرار جسيمة ؛ إذ أنها ستكون دولة لها سوابق ثابتة فى جريمة إبادة الجنس الجماعية ، وهى أعلى وأخطر جريمة دولية . والاعتراف المصرى بهذه الإبادة ، سوف يفتح أبواب جهنم على أردوغان ونظامه ، ولن يتمكن من صد الملاحقات الأرمنية والكردية والسريانية واليونانية والعربية . وسوف يُؤدِّى هذا الاعتراف إلى تعزيز الموقف الأرمنى المطالب بالتعويضات المادية ، واسترداد الأراضى الأرمنية التى تحتلها تركيا شرق الأناضول .

علاوة على هذا ، سيزداد الموقف حرجاً وتأزماً فى المحاولات المستميتة لتركيا من أجل الانضمام إلى الاتحاد الأوربى .

ولهذا ، أناشد الحكومة المصرية الإسراع باعتراف مصر ليس بالإبادة الأرمنية فقط ، ولكن الاعتراف بكل الإبادات والانتهاكات التى اقترفتها الحكومات التركية المتعاقبة . وأدعو المؤرخين الشرفاء إلى تشكيل لجنة لتوثيق جميع الانتهاكات التركية ضد الأتراك الشرفاء ، وضد الشعوب التى كانت تحتلها الدولة العثمانية ، والعلاقات التركية ـ الإسرائيلية ، ومؤامرات تركيا ضد مصر . وأطالب جامعة القاهرة بأن تُعيد مركز الدراسات الأرمنية بكلية الآداب ، وهو المركز الذى تم تجميده أثناء حكم الإخوان لمصر بإملاءات تركية . إذ أن هذا لا يليق بأقدم جامعة فى الشرق الأوسط .

شواهـــد

أرمينية تتبنى الحل السلمى لمشكلة قره باغ

أكدت مصادر أرمنية للموقع الإلكترونى المسمّى بـ «البوابة الدبلوماسية» أن حل قضية ناجورنو قره باغ مستحيل إلا بالوسائل السلمية . وأرمينية ملتزمة بعملية السلام والمفاوضات بوساطة الدول المناوبة لرئاسة مجموعة مينسك التابعة لمنظمة الأمن والتعاون الأوربى ، وهى الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية وفرنسا ، المبنية على أسس مبادئ القانون الدولى مثل عدم استخدام القوة أو التهديد بها ، ومساواة حق الشعوب ، وحق تقرير المصير ووحدة الأراضى . ولكن للأسف ، ترفض أذربيچان بعناد قبول حق شعب ناجورنو قره باغ فى تقرير مصيره ، وتستمر بممارسة الاستفزازات من تهديدات لحرب جديدة ، واستخدام القوة ضد ناجورنو قره باغ وأرمينية وتوجه إيرادات ضخمة من بيع موارد الطاقة إلى تسليح جيشها بكثافة . وترفض أذربيچان كافة الاقتراحات بحل سلمى وتعزيز وقف إطلاق النار وخلق جو من الثقة المتبادلة، وتزرع بذور البغض والكراهية عند شعبها تجاه الأرمن وأرمينية .

إن ناجورنو قره باغ كانت تاريخياً أرضاً أرمنية دائماً . بعد انتشار السلطة السوڤيتية فى القوقاز وخلافاً لإرادة سكان ناجورنو قره باغ وبتعليمات من ستالين وعلى أساس القرار غير الشرعى للجنة الإقليمية للحزب الشيوعى الروسى فى القوقاز ، تم وضعها قسراً كإقليم ذى حكم ذاتى فى إطار أذربيچان .

بدأت المرحلة الحالية لنزاع ناجورنو قره باغ فى عام ١٩٨٨ عندما قامت سلطات أذربيچان السوڤيتية بتنظيم عمليات القتل والتصفية العرقية على نطاق واسع ، وذلك رداً على الطلب العادل لسكان ناجورنو قره باغ حول تقرير المصير . وفى النهاية ونتيجة انهيار الاتحاد السوڤيتى وعلى أساس قوانين الاتحاد السوڤيتى ومعايير القانون الدولى ، أعلنت ناجورنو قره باغ عن استقلالها . ردت باكو على ذلك بعمليات حربية واسعة النطاق ضد ناجورنو قره باغ . ولكن السكان الأرمن فى ناجورنو قره باغ وبثمن دماء أبطالهم ، تمكنوا من المحافظة على حريتهم وسبيل استقلالهم الذى اختاروه .



أمثـــال الشعــب الأرمــنى

إعداد : عطا درغام

- أنا لا أنصح القطة أن تخنق أسداً .
- إذا كان صدرى ضيقاً فماذا ينفعنى وسع العالم .
- أعطى الأب أبنه كرمة ، ولكن الابن لم يعط أباه عنقوداً واحداً .
- الثروة تمنح العرجان سيقاناً ، والدميمين جمَالاً ، والدموع أهمية .
- الحجر المصقول لا يبقى على الأرض .
- خادم البخيل يصبح لصاً .
- اختر زوجتك بعين شيخ ، واختر حصانك بعين شاب .
- الذئب ينقض على الكلب الذى لا ينبح .
- رفسة الحصان الهادئ قوية وشديدة .
- سُنّ القانون للغنى والعقاب للفقير .
- شمس الربيع تشرق على ابنى وكنتى ، وشمس الخريف على أبنتى وصهرى .
- الصيت الحسن عقد من اللؤلؤ .
- العادات الحسنة هى عقد من اللآلئ .
- العمل أبلغ خطاب .
- الغريق يتعلق بقشة .
- قبل أن يصبح البدين نحيلاً يكون النحيل قد فارق الحياة .
- الكلاب التى تتنازع فيما بينها تتحد ضد الذئب .
- لا يطفأ الحريق بالريق .
- امنح من يقول الحقيقة حصاناً .
- من يركض كثيراً لا يصل دوماً بسرعة .
- المرأة تشبه القمر : تارة تبدو فضية ، وطوراً ذهبية .
- المطبخ الصغير يبنى بيتاً كبيراً .
- وردة قمم الجبال لن تتخلى عن مكانها لوردة الحدائق .
- يمكن للأم أن تعاقب ابنها وتضربه ، ولكنها سرعان ما تغمره بالقبلات .
- قلب الفهيم يقتنى معرفة ، وأذن الحكماء تطلب علماً .
- هدية الإنسان ترحب له وتهديه إلى أمام العظماء .
- الأول فى دعواه محق ، فيأتى رفيقه ويفحصه .
- القرعة تبطل الخصومات وتفصل بين الأقوياء .
- يأتى الألم راكباً حصاناً ، ويطل الشفاء سائراً على قدميه .
- يريد شراء إبرة ويسأل عن سعر الحديد .
- أعط من يقول الحقيقة ، حصاناً سيحتاج إليه ليهرب .
- ارتكب السارق ذنباً ، وارتكب المسروق مئة .
- تنحت الشبيبة فى الحجر ، وتنحت الشيخوخة فى الثلج .
- لا تناسب الوحدة إلا اللّه .